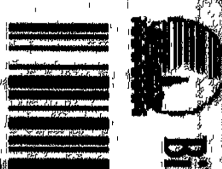
صلاح عزام



عشرة من أصفياء النبي

أبو بكر الصديق
عمر بن الخطاب
حمزة بن عبد المطلب
الإمام الحسن
الإمام الحسين
عمار بن ياسر
بلال بن رباح
أبو ذر الغفاري
عبد الله بن مسعود
فارسي









ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب



ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب

تصدر عن مؤسسة

دار الشعب

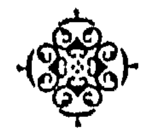
للصحافة والطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

أحمد شوقي القيعي

المدير العام

جمال الدين زكي



ستظل القاهرة .. دائماً قلب العروبة والإسلام النابض .. تتبوأ مكانتها التاريخية والحضارية .. في عالم الفكر والثقافة والنشر !!



الإدارة : ٩٢ شارع قصر العيني - بالقاهرة
ت ٣٥٥١٨١٠/٣٥٥١٨١٨/٣٥٤٣٨٠٠/٣٥٥٧٧٣٠
تلكس دولي : ٢٠٥٧٤
ص . ب ١٤ رقم بريدي ١١٥١٦

١٠ من أصفياء النبى

صلاح عزام

قال الامام على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم :

لم يكن نبى الا أعطى سيفه نجباء ووزراء ورفقاء وأنى أعطيت أربعة عشر . حمزة . وجعفر . وأبو بكر . وعمر . وعلى . والحسن . والحسين . وابن مسعود . وسلمان . وعمار . وخديجة . وأبو ذر . والمقداد . وبلال .

مقدمة

و .. هذا كتاب آخر لتلاميذ النبى صلى الله عليه وسلم نجوم الهدى ..

وقبل البدء لابد من كلمة عاجلة عن منهجنا فى الكتابة عن اصحاب النبى عليه الصلاة والسلام .. نعيدها .. فنحن نرفض ونحترم المنهجين المسيطرين على التاليف عنهما سواء المطولات أو اختيار بعض جوانب العظمة او العبقريات . اذ آثرنا العرض السريع لحياة الصحابى وفى ايجاز .. لعلمنا بان القارىء اليوم عجول .. متاثرا بذلك من اجهزة الاعلام الحديثة .. المقروءة والمسموعة والمرئية .. وجعلنا دخول الشخصية فى الاسلام هو مبدأ الحياة لها .. وقد لا نتعرض لحياته من قبل .. أو نتعرض بالقدر القليل .. لأنهم من غير الاسلام ما عرفوا .. ولا كانوا ..

وبعد هذا .. فلابد من كلمة عن الحديث الذى صدرنا به كتابنا .. وقد رجعت الى الثقاة من أهل الحديث واساتذته فلم ينكروه وانما نسبوه الى أهل التصوف مع اجازتهم مضمونه فهؤلاء الصحابة الأجلاء الذين ذكرهم الحديث الشريف أهل سبق وفضل ومنهم من بشر بالجنة ومنهم احب خلق الله اليه ..

وقد تركت منهم اربعة رضوان الله عليهم (على ــ حذيفة وجعفر والمقداد) لأنهم موضع دراسة مستقلة فى الطريق الى أيدى القراء باذن الله ..

وجعلت ترتيب العشرة الأصفياء وفقا لما وردت أسماؤهم فى الحديث الشريف .

و .. على الله قصد السبيل .

صلاح عزام

مصر الجديدة ــ المحرم ١٣٩٥

يناير ١٩٧٥

أبو ذر الغفاري

يقول أبو ذر الغفاري في خطبة تهتز لها الشام :

« يا كانز المـال الا تعلم انه اذا مات ابن آدم انقطع عمـله الا من ثلاث : من صدقة جارية ، أو عـلم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

عاش أبو ذر الغفارى يبحث عن الاســلام والهــدى ومات فى منفاه وحيدا دفاعا عن الاســلام والحق ، وبين حياته وموته كانت قصة طويلة من العلم والعمل والنضال وفى ثورة لا تهدأ وصلابة لا تلين .

جاء الى مكة من غفار بعد أن علم من الأعراب الرحل أن نبيا قد ظهر بمكة يدعــو الى التوحيد والمســاواة . وظل يبحث عن النبى يومين طويلين حتى لقيه . صحبــه اليه على بن أبى طالب واخــذ يسأل الرســول عن الاســلام ثم بايعه عليه . ومن يومهــا لم يخف اســلامه أبدا . . فقد خرج من عنــد النبى ليصرح بالشهادتين بين أعراب مكة حول الكعبة فأوسعوه ضربا وكادوا يقتلونه لولا خشيتهم على تجارتهم التى تمر بغفار فى غدوها ورواحها . وخاف عليه النبى فأرسله الى غفار قبيلته يدعوها الى الاســلام ونجح فى مهمته حتى أعلنت غفــار اسلامها وبايعت النبى فى طريق هجرته . وقال عليــه الصلاة والسلام لأبى ذر وهو يودعه **(غفار غفر لها)** .

ويتحدث التاريخ طويلا بعد الهجرة عن « أبى ذر » . اننا نراه مع النبى فى معظم الغزوات .. ونسمع عن أحاديث يرويها .. ونراه فى مجلس النبى دائما لا يفارقه يتعلم ويسأل ويأخذ عنه .. ونرى النبى صلى الله عليه وسلم ـ يحنو عليه ويقربه ويخصه ويوليه على المدينة عام ٦ هـ ويدخل مع النبى مكة .. ويحضر وفاته ويستمع مع نفر قليل الى وصيته .

واحس ابو ذر بالفراغ الهائل بعد النبى .. وان المدينة لم تعد له مكانا من بعده .. خاصة وقد راى الخلافة يتولاها أبو بكر فذهب الى القتال فى صفوف المسلمين حتى استقر به المقام بالشام يعلم الناس أمور دينهم ـ أيام السلم ـ ويشترك مع الجيش الاسلامى فى الجهاد .. ورفض كل العروض التى وجهت اليه ليتولى احدى الامارات كبعض الصحابة .. زهدا .. وايمانا بدوره .

وقتل عمر ..

وعاد أبو ذر الى يثرب ، فقد كان يؤمن ان الوقت قد حان لولاية على .. وكان يؤمن فى قرارة اعماقه ان هناك امورا ستحدث من بعد عمر .. وكان لابد ان يقف مدافعا عن دينه ، الذى تعلمه من المدرسة المحمدية ، امام اى قوى تقف محاولة استغلال الدين أو توجيه المناصب للمنافع الذاتية وتكديس الثروات .

وخاب امل ابى ذر وتولى عثمان الخلافة وبدأت معه جحافل قريش تخرج من عزلتها التى حكم بها عليها عمر خشية الفتنة وخشية تكديس الثروات .

وازاء ذلك وقف ابو ذر يعلن دعوته .. لم يدع الى سفك الدماء أو محاربة المسلمين بالسيف وانما دعا الى الزهد ، والى الحق ، والى اعلاء كلمة الله واعطاء كل ذى حق حقه ، والى أن يكون المال للمسلمين ، وان تقال كلمة الحق لكل حاكم ووال . ورفع شعاره

آية من كتاب الله **(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، فبشرهم بعذاب اليم) .**

وبدأ من المسجد الكبير في المدينة يعلن سخطه على الولاة الذين تكالبوا على بيت المال .. اقارب عثمان - رضي الله عنه - وخاصته ، فمروان بن الحكم اخذ خمس خراج افريقيا ، والحارث ابن أبي العاص ٣٠٠ الف درهم ، وزيد بن حارثة ١٠٠ الف درهم .

وبدأت كلمات أبي ذر تصل مجلس عثمان الذي ضاق بهجوم ابي ذر عليه وعلى تصرفاته وعلى ولاته ، فاستدعاه ذات يوم الى مجلسه ودارت بينهما مناقشة حامية . ليسأله عثمان عن الذي بلغه عنه فيقول أبو ذر وما بلغك ؟..

فيقول : بلغني انك تحرض الناس على ..

فيقول : وكيف ذلك ؟

فيقول عثمان انك لا تقرأ في المسجد الا (والذين يكنزون الذهب والفضة ..)

فيصرخ ابو ذر : **(اينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله . وعيب من ترك أمر الله ، ووالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحب الي وخير لي من أن اسخط برضاك) .**

وتنتهي المناقشات الحادة مع الأيام بابعاد ابو ذر عن مدينة الرسول الى الشام ، حيث ولاية معاوية .. وتنتقل المعركة أشد ضراوة من المدينة الى دمشق .. ويحتار الداهية معاوية ماذا يفعل مع هذا الزاهد الثائر .. صاحب رسول الله . فيحاول أن يقربه فلا يرضى ويدعوه الى مائدته ذات يوم فيرى عليها من المأكولات ما لا يعرفه الا الرومان فيمسك يده .

ويقول لمعاوية من اين لك هذا .. يا معاوية .. ان كان من بيت ابيك فهو السفه وان كان من بيت مال المسلمين فهي السرقة ، ويرفض تناول الطعام .

ويشاهد أبو ذر ما وصل اليه حال بعض المسلمين من الثراء الفاحش والكثرة الغالبة على ما هى عليه من بؤس ، فيبدأ فى ارساء قواعد العلم الاسلامى .. ولكن معاوية يرى جموع الناس تحتشد حول أبى ذر فيرسله فى الغزوات لعله يرفض .. فيكشفه للناس . ويذهب أبو ذر ويعود سالما على غير ما ظنه معاوية وصحبه .. وتبدأ مرة اخرى لقاءاته مع جماهير المسلمين يبشرهم بحقيقة امر الدين وتعاليم محمد عليه الصلاة والسلام .

ويخطب ذات يوم خطبة تهتز لها الشام كلها يقول فيها : (انى لأرى حقا يطفى وباطلا يحيا ، وصادقا مكذبا واثرة بغير تقى وصالحا مستأثرا عليه) .. (يا معشر الأغنيـاء واسوا الفقراء .. ويبشر الذين يكنزون الذهب والفضة بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) ..

ثم يقول يا كانز المال الا تعلم انه اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له . وأن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال ان ربى عرض على أن يجعل بطحاء مكة ذهبا فقلت يا رب اجوع يوما واشبع يوما ، فاما اليوم الذى اجوع فيه فأتضرع اليك وادعوك . وأما اليوم الذى اشبع فيه لأحمدك واثنى عليك .

وهكذا استمر الصراع فى الشام بين معاوية وابى ذر ..

وهكذا استمرت خطب ابى ذر ضد الأثرياء والأغنياء ، والكنز حتى تصل المعركة مداها يوم جمع مجلس واحد بين ابى ذر ومعاوية فيسمى معاوية مال بيت المسلمين . مال الله . اى يكون للصدقات فقط وباشراف الوالى .

فقال ابو ذر (يا معاوية .. ما يدعوك الى ان تسمى مال المسلمين مال الله) .

فقال معاوية (يرحمك الله يا ابا ذر السنا عيال الله والمال مال الله) .

فقال ابو ذر : (فلا تقله .. ولكن قل مال المسلمين ، فان اموال الفيء من حقوق المسلمين وليس لك أن تختزن منها شيئا . انما انت بعملك قد خالفت الرسول وابا بكر وعمر وكنزته لك ولبنى امية . لقد اغنيت الغنى يا معاوية وافقرت الفقير) .

فيدير معاوية دفة الحديث فى دهاء .. قائلا : (ان الشكاة منك يا أبا ذر قد كثرت وأن الاغنياء يشكون منك تقاليب الفقراء عليهم) .

فيقول ابو ذر : (انى انهاهم عن الكنز وانى ابشرهم بعذاب الله ما لم يعوا قوله والذين يكنزون الذهب والفضة .. الخ) .

فيرد عليه معاوية ان هذه الآية لم تنزل فى المسلمين .

فيصرخ فيه ابو ذر : (بل نزلت فينا وفيهم) ثم ينتهى الحديث بتحذير من معاوية واصرار من ابى ذر على دعوته بقوله (والله لانشرن على دعوة الناس الى الزهد وعلى تحذيرهم من الكنز ولابشرن الكانزين بعذاب النار . والله لا انتهى حتى توزع الاموال على المسلمين كافة) .

ويستمر ابو ذر فى دعوته حتى يضيق به الداهية ابن ابى سفيان فيكتب الى عثمان شاكيا فيأتيه من المدينة امر بأن يحمل اليها ابو ذر بلا تمهل .

ويصل الخبر اهل الشام ويتجمعون حول ابى ذر وتكاد الفتنة ان تقع لولا ان يمنعها ابو ذر بنفسه ، فهو يطلب من اهل الشام أن يتمسكوا بدينهم وان يعرفوه حق معرفته وانه ذاهب الى المدينة ليرى امر الله ثم يوصى اهل الشام وصية طويلة يختتمها بقوله : ايها الناس اجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضبا لله اذا عصى فى الأرض ولا ترضوا ائمتكم بسخط الله وان احدثوا ما لا تعرفون فجانبوهم

وآزروا عليهم وإن عذبتم وحرمتم وسيرتم حتى يرضى الله فان الله اعلى واكبر) .

وفى المدينة كان لقاء عاصف آخر مع عثمان بن عفان ، فقد اراد الخليفة أن يستجوبه عن شكاة أهل الشام ضده فنفى أبو ذر اتهامهم .

وقال (ليس أهل الشام هم الذين يشكوننى ولكن هناك فئة قليلة كنزت المال واحتكرت الأرزاق ومنعتها عن اصحابها ومستحقيها فساءها أن أقول للناس ما كان لكم من حق فخذوه ، وما كان باطلا فذروه ، فهم يصرون يا عثمان على أكل الباطل وحقوق الناس) .

ثم .. يطلب منه عثمان أن يعتزل الناس ، فيتركه أبو ذر غاضبا ولا يطيع أمره .

ولم تطل الحياة بأبى ذر .. فقد تعرض لمحن أشد وأقوى وتكالبت عليه حاشية عثمان توقع بينهما ، وتدفع الشك الى نفس امير المؤمنين ويقع بين الصحابيين ما ليس منه بد .. وتحتدم الخلافات الفكرية بين أبى ذر وحاشية عثمان وفى مجلسه وينتهى الأمر ذات يوم بأن يصدر الخليفة أمره .. بنفى هذا الثائر الى مكان حيث لا يلقى أحدا ولا يلتقى بانسان والى أن يقضى الله امره .

وتدخل بعض الصحابة ليلغوا امر النفى أو يعدلوه بلا طائل وكان أن حط الرحال بأبى ذر فى بقعة يقال لها الربذة .. استقر فيها ولم يغادرها غير مرة واحدة بحثا وراء حقه فى بيت المال ..

وشاهد خلال اقامته صراعا عنيفا مع الموت والحياة .. ورأى الموت يختطف ابنته وابنه ولا يملك لهما من دون الله شيئا .. وبقيت الى جانبه زوجته تواسيه وتؤانسه .

ومرت الأيام بطيئة ثقيلة .. ووقع ابو ذر تحت مطارق الألم فى غيبوبة الموت .. وكان يفيق ليرى دموع زوجته تبلل وجنتيه .

وذات مرة الخيرة . . طلب منها أن تكف عن البكاء ، فقالت كيف لا ابكيك ونحن غريبان وليس عندي ما اكفنك فيه .

فقال لها : (لا تبكي فاني سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول ذات يوم وأنا عنده في نفر من اصحابه ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين . وكل من كان معي في هذا المجلس مات في جماعة او قرية . فراقبي الطريق فستطلع علينا عصابة من المؤمنين فاني والله ما كذبت ولا كذبت) .

واغمض عينيه . . والى الأبد عام ٣٢ هـ لتطلع قافلة من الطريق فيها عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله الذى ما ان رأى ابا ذر حتى اكب عليه باكيا ، ثم نهض يغطيه .

ويقول « اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله عبدك في العابدين وجاهد فيك المشركين ولم يغير ولم يبدل ولكنه رأى منكرا فغيره بلسانه وقلبه حتى جفى ونفى .

وصدق رسول الله وهو يقول : يا ابا ذر انك تعيش وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ».

بلال بن رباح

ان بعض المسلمين جـــاءوا يستأذنون رســول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يزوج احــدى بناتهم الى رجل عربى سموه فقال لهم صلى الله عليه وسلم : ((أين أنتم من رجل من أهل الجنــة . أين أنتم من بلال)) .

والأحاديث كثــيرة يرويهــا التاريخ عن مكانة بلال بن رباح من رسول الله .

كان أول ما سمع عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى مجالس القوم وهو يخدمهم ، وبالذات من أمية بن خلف أحد زعماء بنى جمح حيث كان بلال رضى الله عنه واحدا من عبيدهم ..

كان يسمع أمية وزواره يتحدثون عن أخبار محمد بن عبد الله . ويسخرون من دعوة الاســلام التى يرفع لواءها داعيــا الى الله فى وحدانية مطلقة ومساواة كاملة . ثم يعجب من هؤلاء القــوم كيف يسخرون ولا يؤمنون .

وكان قلبــه رضى الله عنه يهتز لكل عبــارة يسخر منها زعماء الشرك والكفر ولكنه لم يعــرف الطريق الى رسول الله فقــد كانت حياته الطويلة فى مكة عبدا يرعى الغنم ، ويخدم أسياده ويحول ذلك بينه وبين منطلق الحياة .

ومع هذا .. فان بلالا احس بحديث خصوم محمد يسرى فى أعماقه فيفتح امامه مجالات جديدة . انها دعوة تتفق مع كل الذى كان يحس به فى خلواته . وفى عرض الصحراء ، ووحشة الحياة .

ولم يتردد بلال ..

ولم ترجفه أحاديث زعماء القبائل وهم يعددون الوسائل التى سيحاربون بها محمدا وصحبه .

بل انطلق يبحث عن رسول الله ذات يوم لا يذكره التاريخ لنا بالتحديد . وانما يؤكد أسبقية اسلام هذا العبد الحبشى الذى هز الدنيا بعد ذلك . **وأنه لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن اسلامه وأنه بذلك كان سابع المسلمين .**

وفوجىء زعماء قريش باسلام بلال ، فان هذا الأمر لم يكن مما يتوقعونه .

ولم يبال بلال بموقف زعماء الكفار من خبر اسلامه ، ولا تهديد اميه بالذات له ، وهو الذى يقسم بأن الشمس لن تغرب على اسلام بلال أبدا .

وتبدأ الاستعدادات الضخمة لتعذيب هذا العبد الحبشى .. كأسطورة تهز الدنيا . وترسل الرعب الى كل من يفكر فى أن يلحق بدين محمد ..

ولكن .. الايمان بالله وحب رسوله كانا يملآن كل حياة بلال وتفكيره .. لقد احس بلال النور المحمدى يضىء امامه الطريق فينسى أدوات التعذيب التى أعدت له .. ويصم أذنيه عن دعوات أمية بن خلف وأصحابه ووعودهم فى أن يخرج عن دين محمد .. بل فى أن يسب محمدا ورب محمد .

ورفض بلال فى اباء واصرار كل هذه الدعوات .. ورفض ايضا وعودهم له بالحرية والتحرر .. وكان على لسانه نداء واحد تهتز له الدنيا ، وتهتز له قلوب كل من يسمعونه : « أحد .. أحد .. »

وجربوا معه كل أنواع التعذيب التى يمكن أن يسمع عنها انسان عبر التاريخ .. ووضعوه عريانا فوق الجمر .. وكانوا يخرجون به فى الظهيرة الى جحيم الصحراء ويطرحونه عريانا على حصاها الملتهب ويربطون حجرا كبيرا كالنار فوق بطنه .

وكرروا هذه المأساة اياما لعله يخرج عن دينه ويسب محمدا وآل محمد ولكن بلالا رضى الله عنه كان راسخ العقيدة .. كان نموذجا اسلاميا لكل مسلم من بعده .. فلا يتزحزح ولا يضعف وانما يصرخ فى وجه الطغاة والدنيا كلها : « أحد .. احد .. » .

ومرة أخرى يعودون الى تعذيبه بصورة أخرى . لقد ربطوا عنقه فى حبل وامروا الصبية بأن يطوفوا به مكة فى كل أجزائها ، وصمد بلال .

ومرة ثالثة ، اتخذوا يضربونه بالرماح حتى لا يترك فى جسده موضع واحد لم ينزف الدم . ويلقون الماء المغلى على هذه الجروح ليعاودوا الكرة فى التعذيب .

ومرات أخرى . وصورا متعددة من العذاب ، حتى يضيق بالتعذيب معذبوه .

ويصرخ فيه امية بن خلف من الغيظ ..

« أى شؤم رمانا بك يا عبد السوء . واللات والعزى لأجعلنك للعبيد والسادة مثلا » .

فلا يجيبه بلال الا ب « أحد .. أحد .. » .

وتهتز كل جنبات مكة لهذا الصمود ، وذاك العذاب .. ويجرى أبو بكر باحثا عن بلال فى محاولة لانقاذه من هذا البلاء ومهما كان الثمن .. ويجده .. والسياط تلهب جسده الدامى فيرتمى عليه يضمه الى صدره ويقول لجلاديه : اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ،

ويصرخ فى وجهه كبير الطغاة امية بن خلف « خذ أكثر من ثمنه واتركه حرا .. » .

ويقبل امية هذا العرض ليتخلص من عناد ابن رباح ويحمل ابو بكر بلالا وامية من خلفه يستهزىء من هذا الشراء قائلا لأبى بكر : « لو ابيت أن تشتريه الا بأوقية واحدة لبعتكه بهما » فيرد عليه الصديق فى صدق واصرار : « والله لو أبيتم انتم الا مائة أوقية لدفعتها » .

ويذهب الصديق ببلال الى رسول الله ليزف اليه أبو بكر خبر خلاص بلال . وانه قد أعتقه أيضا فى سبيل الله .

ويصبح العبد حرا .. عبد الله وحده .. عاملا من أجل تحرر النفوس وخلاصها لله الواحد القهار .

ويعمل خازنا لأبى بكر فى أول الأمر ثم خازنا لرسول الله بعد ، حتى يصير مؤذن الرسول .. واول مؤذن فى الاسلام عندما تقرر الآذان للصلاة .

ومنذ ذلك اليوم وبلال لا يترك رسول الله . يتعلم منه ، ويعلم الناس ويدعوهم الى دين الله .

ومرة واحده افترق بلال عن النبى وصاحبه يوم أذن الرسول لبعض أصحابه ان يسبقوه بالهجرة الى المدينة ، وكان هو مع المهاجرين الأول وفى انتظار النبى صلى الله عليه وسلم .

وعندما وصل النبى الى المدينة كان بلال مع من استقبله . ثم كان مع الرسول يعمل فى بناء المسجد . ثم كان بعد ذلك أول من يعلمه النبى الآذان عندما قرره . ويطلب منه وهو الذى من قبل رفع نداء « احد احد .. » من وراء العذاب والتعذيب أن يرفع من فوق المئذنة الدعوة الى الصلاة ومظهر التوحيد والمساواة .. الله أكبر . الله أكبر .

وأصبح بلال مؤذن الرسول منذ ذلك الحين . يصحبه فى كل غزواته وكل روحاته . وشهد معه المعارك كلها ، ويوم بدر . ويومها يحق الله الحق ، ويأذن بلحظة العـــدل والقصاص فيتقابل بلال مع أمية بن خلف فيصرخ فى فرح : « رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا . . » .

ويسمعه بعض نفــر من المسلمين فيهبون لمســاعدته ونصرته وينهشون امية بالسـيوف حتى فتل ويقف بلال على جثته ويرفع عينيه الى السماء صارخا من القلب : « احد . . أحد . . » نفس ندائه وهو يعذبه نفس ندائه وهو يعذبه مستغلا .

ثم يتركه ليلحق بالرســول العظيم صــلوات الله عليه ، يلازمه ويسمع منه وينقل عنه .

ويسأل عنه الرسول كلما غاب بين أوقات الآذان ، ويذكره بالخير للنـــاس من حوله ، حتى أن بعض المســلمين جاءوه يستأذنونه فى أن يزوج احدى بنــاتهم الى رجل عربى سموه فقال لهم صلى الله عليه وسلم : ((أين أنتم من رجل من أهل الجنة . أين أنتم من بلال)) .

فانصرف القوم ولم يتحدثوا بشىء حتى كان الغد أتوا الرسول فكرروا مطلبهم فكان رد الرســول أين أنتم من بلال .. فانصرفوا أيضــــا حتى كان اليــوم الثالث جــاءوا الى النبى مكررين فأجابهم أيضا : أين أنتم من بلال ..

والأحاديث كثيرة يرويها التاريخ عن مكانة بلال من رسول الله .

ومرت الأيام .

وفتح الله للمسلمين مكة .

وعاد المهاجرون .

وارتفعت راية الاسلام ..

ودخل النبى الكعبة . ولم يكن فى صحبته غير ثلاثة من المسلمين : عثمان بن طلحة صاحب مفاتيح الكعبة ، وأسامة بن زيد ، وبلال الذى أمره النبى أن يصعد فوق الكعبة .

ويرتفع صوته بالآذان .

ومرة أخرى تهتز مكة كلها لصوت بلال .. ولكن فى هذه المرة بايمان ونصر الله ، لا من خلال العذاب والتعذيب ، يرفع النداء الله أكبر .

وينتقل الرسول وهو راض عن بلال .

ويرفض بعدها مؤذن الرسول أن يؤدى مهمته وهى الآذان . فهو لا يطيق ان يؤذن ولا يرى رسول الله يؤم المسلمين . وانما طلب تغيير موقعه فى ميدان الدعوة المحمدية . ورفض كل العروض فى ان يبقى مع ابى بكر يعاونه فى شئون الحكم فلم يدخل الى الاسلام كى يحصل على مغنم . ولم يكن الاسلام قد دخل بعد قلوب الذين يعيشون من حول البلاد العربية ، ولذا فقد اصر على أن يكون حيث نصحه الرسول مع المجاهدين « فان أفضل عمل المؤمن الجهاد فى سبيل الله » .

واشترك فى حروب الردة .

ثم بدا يستعد للذهاب الى الشام ليشارك المجاهدين فى سبيل الله .

ولكنه تأخر لوفاة الخليفة الأول .

ولما استقرت الأمور لعمر بن الخطاب ذهب اليه ليلقاه حتى يتدبر معه الأمر . وتشاء الظروف أن يجتمع فى رغبة لقاء أمير المؤمنين عمر مع بلال أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو بن الحارث ورهط من كبار العرب .. فيأذن عمر لبلال وصهيب أولا .. فيغضب أبو سفيان ويقول لأصحابه : لم أر كاليوم قط . يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه .. فيرد عليه سهيل وقد كان حكيما :

« ان كنتم غضبى فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم — الى الاسلام — ودعيتم . فأسرعوا وأبطأتم .. فكيف بكم اذا دعوا يوم القيامة وتركتم .. » .

ويذهب بلال الى الشام ويقاتل مع المجاهدين . وينشر تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولا يلتقى مع الكثيرين من الصحابة الأول الا يوم زار عمر الشام وألح عليه هو وكثير من المسلمين أن يسمعوا صوت مؤذن الرسول .

ومرة أخيرة .. تهتز قلوب المسلمين وأرجاء دمشق بصوت بلال وهو يرتفع بالآذان ، ودموع الوفاء تبلل لحيته وصوته يهتز عند أشهد أن محمدا رسول الله .

ثم تمضى الأيام مع المجاهد .. رجل الجنة .. بلال بن رباح فى دمشق حيث أقام هناك معلما الناس أمور دينهم الى أن أتى أمر الله عام ٢٠ هـ فمات بها وورى بها الثرى . وآخر عباراته تهز الدنيا .

« اليوم ألقى الأحبة .. ألقى محمدا وصحبه » ..

سلمان الفارسى

يكتب ابو الدرداء من الشام الى سلمان الفارسى ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قد آخى بينهما ـ فيقول : (سلام عليك . اما بعد . فان الله قد رزقنى بعدك مالا وولدا ونزلت الأرض المقدسة) .

فيرد عليه سلمان : (سلام عليك ـ اما بعد ـ فانك كتبت ان الله رزقك مالا وولدا فاعلم ان الخير ليس بكثرة المال والولد ولكن الخير أن يكثر حلمك وان ينفعك علمك .

و .. سلمان الفارسى .. واحد من اصدق الدعاة ، واخلص اتباع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

و .. نموذج وحده فى اظهار آية الله تبارك وتعالى فيمن يخلصون وجههم اليه سبحانه فيجعلهم ائمة ، ويبدل خوفهم امنا .. و .. صورة من الحياة الواقعية لمن يترك بيته واهله مهاجرا الى الله فيعود الى بلده مرة اخرى ظافرا .. منتصرا . قائدا .

فسلمان عاش فى بلاد فارس .. لأبوين من سادة القوم .. وشب محبا للعلم والمعرفة حتى انهم اعدوه ليكون رجل دين .. ومن خلال العلم الذى قرأه تفتح قلبه لنور من المعرفة الالهية فدخل

المسيحية .. وعرف من بعض الرهبان أن هذه الحياة خلقها الله وينظمها ويسيرها وفقا لارادته وناموس منزل .. وأن هناك نبى سيأتى فى أرض العرب وله علامات مميزة .. فى خلقه وبدنه ..

هكذا تؤكد كتب الرهبان .. وهكذا تأكد لنفس سلمان مما قرأ .. فترك الجاه والمجد .. وواصل فراره من أرض فارس أولا .. ومن الشام ثانيا .. رغم كثرة بحث الأهل .. واتجه مع قافلة عربية الى المدينة .. ولكن أصحاب القافلة غدروا به .. واعتبروه عبدا . وباعوه فى المدينة ليهودى من بنى قريظة ..

ويقول سلمان عن رحلته الكثير حتى توقف عند المدينة المنورة بنخيلها لأنها صورة للبلد التى قرأ فيها الكتب أن بها مقام صاحب الدعوة السماوية التى ستحطم الظلم ، وتهدم الطغيان .. وترفع رايات الوحدانية والمساواة .. فنسى غدر أهل القافلة .. وذل العبودية .. انتظارا للقادم . المنقذ للبشرية .

وما هى الا مدة قصيرة ويسمع سلمان لخبر الاسلام فتفرح نفسه .. ويذهب الى كل مكان بقدر ما يحوطه من أغلال العبودية متعرفا على الدين الجديد .. وينتظر مع المسلمين مقدم النبى ليتأكد من علامات نبوته التى قرأ عنها وسمع بها ..

ويصل رسول الله الى المدينة .. ويلقاه سلمان من وراء أسياده .. وتتأكد له كل معالم نبوته فيعلن اسلامه ويقص على النبى رحلته الطويلة من فارس حتى يلقاه ويتأثر الرسول العظيم له .. ويحنو عليه .. ويقربه منه ..

ومع هذا فقد كانت هناك عقبة تحول بين سلمان والمسلمين .. فهو أمام العرف يومذاك عبدا .. مملوكا ليهودى من بنى قريظة .. وبينهم وبين بعض الأنصار عهود ومواثيق .. وصاحبه لا يرضى بالتنازل عنه بسهولة لما يعرفه من ثقافته ودخوله الى الاسلام بكل الايمان .

وهو ايضا .. مسلم له على المسلمين حق الأخوة .. وفوق ذلك فرسول الله يحبه .. وله آراء وفهم لمبادىء الدين .. وسرعة حافظة لآيات الله .

ومن هنا ظهرت مشكلة ومأساة سلمان . فيطلب النبى من اصحابه أن يخلصوا سلمان من رق العبودية ليخلص لهم .. فتبدأ مفاوضات مع (سيده) وتطول .. فان يهودى بنى قريظة لم يشأ التخلى عنه بسهولة .. ولكنهم يتغلبون عليه بعد جهد وزمن .. فيحرم سلمان من شهود بدر الكبرى وأحد والاشتراك فيهما .. ولكنه بعد ذلك لم يترك موقعة الا اشترك فيها .. ولم يترك مكانا فيه النبى الا وهو الى جانبه .. حتى يقول عنه صلوات الله وسلامه عليه يوما .. (سلمان منا آل البيت) .

ويمضى الزمن .. وتأتى غزوة الخندق .. وهنا تظهر عبقرية سلمان ويظهر للمسلمين حكمة الله الغالبة فى المدة التى قضاها سلمان مع اليهود .. وهم الذين يقفون فى الجانب الآخر مع الألوف القادمة من العرب المشركين .. ليشير على المسلمين بحفر الخندق .. فان هذه طبيعة المدينة .. التى تقف امام فن اليهود الحربى الذى تعرف عليه اثناء اقامته معهم .. وهو الأمر الذى برع فيه الفرس خلال حروبهم .. ويأمر النبى الكريم بالأخذ باقتراح سلمان ويبدعون فى العمل الحربى الجديد .. الذى يكشف الله فيه لرسوله عن مستقبل انتصارات المسلمين فيبشرهم بفتح فارس وبلاد الروم .. فيصرخون فرحا .. وأملا ..

و .. تمر الأيام ..

وسلمان الفارسى .. يصاحب النبى صلى الله عليه وسلم ويشهد معه الغزوات .. ولقاء الوفود . وتعلم الكثير من النبى .. وعرف ما كان يريد أن يلم به حتى يصبح موضع اكبار واجلال الصحابة الأول .. يهشون للقائه .. ويتقربون منه .. بما فيهم ابو بكر وعمر .. رضى الله عنهما ..

وينتقل رسول الله وهو راض عن سلمان .. ووصيته للمسلمين ان سلمان منا آل البيت فى قلب كل واحد منهم ..

ويعمل مع أبى بكر وعمر .. مجاهدا ، ومناضلا مشتركا فى الفتوحات والدعوة الى الله .. ويعاصر عثمان ايضا ..

و .. مرة أخرى .. يعود سلمان الى فارس . وهذه المرة أميرا على المدائن ..

آية من الحق تبارك وتعالى لكل المؤمنين الصادقين المخلصين وجوههم له وحده ..

فهاهى فارس تستقبل ابنها الذى خرج منها باحثا عن نور الاسلام .. ويلقى فى سبيل ذلك كل المتاعب ويخلف وراءه مجدا ، ومركزا ، وجاها .. فيعود وقد ابدله الله خيرا مما ترك واكثر .. يعود اميرا على المدائن ، ولكن من نوع آخر كتلميذ صادق من مدرسة النبى العظيم .

تشهد فارس .. امير المسلمين يعلمهم .. كيف يكون الحاكم الاسلامى ..

اذ يمر فى الطريق متفقدا القوم فيلقاه رجل شامى .. غريب .. فينادى عليه ليحمل عنه متاعه فيسمع كلامه .. ويمر على القوم فيقومون للامير ويطلبون ان يحملوا عنه المتاع .. فيدهش الشامى .. ويعرف انه قد اخطأ التقدير فيلح على سلمان بترك المتاع معتذرا ولكنه يرفض حتى يبلغ مكانه ..

و .. يرونه يوزع عطاءه الوفير وقدره خمسة آلاف درهم على المحتاجين وأبناء المجاهدين .. ويقول لمن يعاتبه عما تركه لنفسه وعياله (اشترى خوصا بدرهم فأعمله ثم ابيعه بثلاثة دراهم فاعيد درهما فيه وانفق درهما على عيالى واتصدق بالثالث ولو ان عمر بن الخطاب نهانى عن ذلك ما نهيت ..) .

ويكتب اليه أبو الدرداء من الشــام ــ وكان رسول الله صــلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما ــ فيقول (سلام عليك . أما بعد ــ فان الله قد رزقنى بعدك مالا وولدا ونزلت الأرض المقدسة ..) .

فيرد عليه ســـلمان (.. سلام عليكم ــ اما بعد ــ فانك كتبت الى أن الله رزقك مالا وولدا فاعلم أن الخير ليس بكثــرة المـال والولد ولكن الخير ان يكثر حلمك ، وأن ينفعك علمك .

وكتبت الى أنك نزلت الأرض المقدسة وأن الأرض لا تعمل لأحد اعمل كأنك ترى واعدد نفسك من الموتى :

و .. تشهد الدنيا كلها . فى عهد عثمان بن عفان .. يوم وفاة سلمان الفارسى .. وقبل لحظات الرحيل يدخل سعد بن أبى وقاص عليه ليعود فيجده فى بكاء طويل فيسأله عن سر ذلك و .. (قد توفى رسول الله وهو عنك راض ..) فيقــول سلمان .. (والله ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله عهـد الينا عهدا فقال ليكن حظ احدكم من الدنيا مثــل زاد الراكب وها أنذا وحولى هذه الأساود) فينظر سعد حوله ليرى هذه الأشياء الكثيرة التى يتحدث عنها وتبكيه .. فيزداد دهشة .. وتقديرا .. واكبارا لسلمان اذ يقول (فنظرت فلم أر حولى الا جفنة ومطهرة) .

وانحنى سعد على سلمان يقبله ويقول له (يا أبا عبد الله أعهد الينا بعهد نأخذه عنك فقال سلمان . يا سعد . أذكر الله عند همك اذا هممت .. وعند حكمك اذا حكمت .. وعند يدك اذا قسمت) .

وفى عام ٣٥ هـ .. آخر عهد عثمان بن عفان يذهب ســـلمان الفارسى الى عالم الخلود كآية من آيات الله يوم عاش .. ويوم بحث عن الحق .. ويوم عاد الى بلده ثم آب الى خالقه ..

عمار ابن ياسر

يقول حذيفة بن النعمان لمن التف حوله من أصحابه لحظة نهاية عمره ردا على سؤالهم (بم تامرنا اذا اختلف النـــاس ؟) فيقول لهم : (عليكم بابن سمية ((عمار بن ياسر)) فانه لن يفارق الحق حتى يموت .

اذا كان بلال رضى الله عنه قد رأى من العــذاب الوانا وأنواعا حتى أصبح نموذجا وحده فى الاحتمال وايثار العقيدة فان الذى لقيه أخوه فى الاسلام عمار بن ياسر نوع آخر سيظل يرسم بأحرف من نور القــدرة الخارقة فى الاحتمال البشرى لأصحاب العقــائد .. ونموذجا فريدا من المناضلين المؤمنين الأول .. الذين باعوا أنفسهم الى الله ليرفعوا راية لا اله الا الله محمدا رسول الله .. وليكون صورة مشرقة لكل مؤمن عبــر التاريخ وحتى تقوم الساعة .

وعمار بن ياسر هو ابن الشــهيدين ياسر وسمية واحــد الذين يفتقدهم رسول الله فى شوق كلما غابوا ويذود عنه كلمــا رأى مغاضيا له حتى قال عليه الصلاة والسلام ــ من عادى عمارا فقــد ابغضه الله ــ و... (اهتدوا بهدى عمار) ..

ووراء هذه المنزلة فى نفس نبى الرحمة قصة طويلة تأثر بها ــ تاريخ عمار فقد أحب الحق وسعى اليه .. وأحب الطريق السوى

وآمن بالخير وحب العدل وبغض الظلم والطغاة .. وعلمه أبواه ياسر وسمية من قبل اسلامه ألا يعبد الأصنام وألا يقدم لآلهة مكة القرابين وأن يبحث معهما عمن خلق السماء والأرض حتى جاءت الدعوة المحمدية فكان أول آل ياسر اسلاما .. وذهب الى والديه يدعوهما الى الاسلام ووجدا فى الدين الجديد ما كان ينتظران .. ومن أجل هذا صغر امامهما حقيقة الوضع الذى يعيشونه فى مكة وفى انهم ــ الثلاثة ــ غرباء فيها .. وما يلقاه أصحاب محمد من العذاب والتنكيل .. كل هذا هان فى نظرهم .. ودخلوا فى الاسلام حبا وايمانا .

ومن يومها بدأ نضال هذه الأسرة الرائعة من أجل دين الله ورفع لواء الاسلام .. بالاحتمال .. والاصرار والتضحية ..

وبدأ مع الثلاثة أيضا أبشع قصة تعذيب عرفها التاريخ الى الآن أو سيعرفها التاريخ يوما ما .. فقد وضع الثلاثة فى مكان واحد وصب عليهم أياما وليالى كل أنواع التعذيب من السحل والضرب والكى بالنار وتمزيق الجسد بالسيوف وسمل العيون والقذف بالماء المغلى حتى يخرجوا عن دين الله ويسبوا محمدا ودينه ورب العزة .. ولكنهم يرفضون .. ولا يقبلون لدينهم الضعة ولا المهانة وانما يذكرون فى كل ذلك دينهم فى جلال وقداسة .

ويشاهد عمار من وراء سحب العذاب امه وهى تكوى بالنار ويستمع الى صراخها الذى يدمى قلبه ويستمر فى ثباته وايمانه .. ثم يسمع شهقة أمه الجريحة وهى تنهى آخر أيامها بالدنيا وتصعد روحها الى الله بارئها .. فيحبس دموعه .. وتكون سمية أول شهيدة فى الاسلام .. ولكن عذاب عمار لا ينتهى فما هى الا دقائق .. حتى يلحق أبوه بأمه ليكون هو الآخر أول شهيد فى الاسلام .

ويتعذب عمار ولا يضعف .. ولا يحقق للمعتدين رجاءهم فى أن يخرج عن دين الله .. بل ان مشاهدى عذابه من الكفار يثورون

على معذبيه ليفك أساره حتى يتقبل العزاء فى والديه .. ويحمل الى داره ومعه جثة والديه .. واشترك فى ذلك خصوم دينه مع رفاقه من المسلمين أمام العذاب الذى شاهدوه .. ويقوم المسلمون ومنهم عثمان بن عفان بكل ما يتطلب من عمار فى مثل هذه المناسبة .. ويبقى عمار ولا يعزيه عن جروحه غير ايمانه العميق وبشرى النبى له ولأهله .. ومع ذلك فلا يملك لأحزان قلبه على والديه عزاء .. حتى ليذكره أصحابه بوعد النبى لهما ويقول له عثمان بن عفان ان رسول الله وعدك بما وعدهما به — فيقول عمار — (هيهات أبا عمر ولو مت معهما لكنت خليقا أن أرضى ولكنهما ذهبا وبقيت . وفى الحياة فتنة وفى النفس ضعف وانه ليحزننى أن فاتنى بهما الموت فأصبحت معرضا لما يتعرض الناس له من الاثم الذى يحبط العمل ومن السيئات التى تمحو الحسنات) .

ولا يزال أصحاب رسول الله يعزونه ويعاونونه على حياته حتى يعود الى عمله ولقاء صحبه والاجتماع برسول الله .

ولا يتركه المشركون ..

بل يعودون الى تعذيبه وايلامه .. وتستمر ايام العذاب رهيبة .. حتى ليقول عمرو بن الحكم (كان عمار يعذب حتى لا يدرك ما يقول) .

ويقول عمرو بن ميمون (أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به ويمر بيده على رأسه يقول يا نار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت بردا وسلاما على ابراهيم) .

وكانوا مع ذلك يتركونه أياما أخرى حتى يقوى على مرحلة أخرى من العذاب .. وهو لا يحيد عن موقفه .. بل يصمد .. ويزداد ايمانا .

وخلال فترة التعذيب والعودة اليه كانت الجراح تقعد عمارا في داره فيأتيه أصحابه .. ولا يتركونه الا ليعبد الله وفي مكان من بيته اتخذه مسجدا حتى نزل فيه قرآنا كريما يقول تعالى « أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب » .

ويأذن رسول الله لبعض أصحابه بالهجرة الى الحبشة ويطلب من عمار أن يكون معهم .. فيهاجر عمار ولكنه لا يطيق البعاد عن رسول الله ويجد أن عذاب الاغتراب أقسى من عذاب السياط والنار فيعود مرة أخرى الى مكة ولكنه لا يبقى طويلا اذ يأذن الرسول بالهجرة الى المدينة .. فيسبقه عمار اليها مع من سبق .. ويلتقى بالنبى فى المدينة ويشترك مع المسلمين الأول فى بناء أول مسجد ويحضر مع الرسول جميع المعارك والمواقع رغم كبر السن ورغم عذاب الجسد ومعاناته واحتمالاته ومع هذا فقد كان من أول المناضلين المجاهدين وأكثرهم تقتيلا للمشركين وأكثرهم شجاعة .

وظل عمار قريبا من رسول الله يفتقده اذا غاب .. ويسأل عنه دائما .. واذا ما سمع صوته قادما الى منزله يقول عليه السلام « مرحبا بالطيب المطيب ائذنوا له » . وكان رسول الله يغضب لغضب عمار فقد اغضبه يوما بعض الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم « ما لهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ان عمارا جلدة ما بين عينى وأنفى » .

وذات يوم سقط جدار كان عمار يعمل تحته فظن البعض انه مات فذهبوا الى رسول الله ينعونه فقال لهم « ما مات عمار .. تقتل عمار الفئة الباغية » .

ويقف عمار حيث اراد له الله ورسوله فى جانب الحق وكما يقول حذيفة بن النعمان لمن التف حوله من اصحابه لحظة نهاية عمره

ردا على سؤالهم « بم تامرنا اذا اختلف الناس » فيقول لهم « عليكم بابن سمية فانه لن يفارق الحق حتى يموت » .

ولأنه لم يفارق الحق فانه لم يطلب ثمنا لنضاله ولا مواقفه من الاسلام لم يطلب مالا ولم يتخذ من اسمه وحب رسول الله له من بعده أسبابا يرتقى بها المناصب ويتعامل فى المتاجرات حتى يكون ثروات طائلة أو يتخذ لنفسه مكانا من المسجد فيصير اماما يهز الخلفاء وتكون له جماعة تهز الدنيا من حوله .

ان عمارا اتخذ الحق صديقا ورفيقا والتزم جانبه ولم يحد عنه لأن فى ذلك تعاليم رسول الله .. فوقف الى جانب أبى بكر فى معارك الردة رغم الأحزان والعمر الذى يجرى حتى ليقول عبد الله بن عمر « رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون ؟ أنا عمار بن ياسر هلموا الى فنظرت اليه فاذا أذنه مقطوعة تتأرجح وهو يقاتل أشد قتال » .

واشترك بعد ذلك فى معارك الفرس والروم أيام الخليفتين الأولين .. أبى بكر وعمر .. ومرة واحدة تحول موقع نضال عمار من ساحات القتال الى تربية الرجال .. يوم أن الح عليه عمر أن يتولى امرة الناس فى الكوفة ليعلم الداخلين الى الاسلام دينهم الحق فهو أكثر الناس من حول عمر قدرة على هذا .. ويرسل عمر خطابا الى أهل الكوفة يقول فيه :

« انى بعثت اليكم عمار بن ياسر أميرا وابن مسعود معلما ووزيرا وانهما لمن النجباء من أصحاب محمد ومن أهل بدر » .

وذات يوم أراد أحد العامة أن يختبره فيغيظه وهو أمير عليهم فقال له معيرا « يا أجدع الأذن » فيرد عليه « خير اذنى سببت فقد أصيبت فى سبيل الله » .

ويقتل عمر .. ليأتى عثمان .. فيجد عمارا أن مجاله لم يعد تولى المناصب وانما النضال من أجل الصورة المشرقة للحكم الاسلامى فخاصم عثمان على حاشيته وسياسته الجديدة وظل الخلاف حتى تولى الخلافة على ابن ابى طالب ومن يومها لم يتركه عمار .. كان الى جانبه بالرأى والمشورة والسيف .

وقامت موقعة صفين بين على ومعاوية وقد بلغ عمار من العمر الثالثة والتسعين فوقف يخطب الناس فى ساحة المعركة « أيها الناس — سيروا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يثأرون لعثمان والله ما قصدهم الأخذ بثأره ولكنهم ذاقوا الدنيا واستمرأوها وعلموا أن الحق يحول بينهم وبين ما يتمرغون فى شهواتهم ودنياهم وما كان لهؤلاء سابقة فى الاسلام يستحقون بها طاعة المسلمين لهم ولا الولاية عليهم ولا عرفت قلوبهم من خشية الله ما يحملهم على اتباع الحق .. » وأنهم ليخادعون الناس بزعمهم أنهم يثأرون لدم عثمان . وما يريدون الا أن يكونوا جبابرة وملوكا » .

ثم يرفع عمار راية فوق رأسه ويصرخ بأعلى صوته فى الناس قائلا **(والذى نفس محمد بيده ، لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وها أنذا اقاتل بها اليوم)** .

وينطلق بعد ذلك عمار فى القتال ذودا عن على لأنه فى جانب الحق . وهنا يقول أبو عبد الرحمن السلمى » شهدنا مع على رضى الله عنه صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ فى ناحية من نواحيها ولا واد من أوديتها الا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتبعونه كأنه علم لهم .. وعندما غربت الشمس ذلك اليوم وكان صائما قال : اسقونى فجىء له بشربة من لبن يفطر عليها فلما رآها ابتسم .. ثم اغرق فى الضحك ثم قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر زادك من الدنيا لبن حتى تموت وأخذ يقاتل جنود معاوية وهو يردد قوله الجنة تحت أطراف العوالى . الظمآن يرد الماء . الماء مورود . اليوم القى الأحبة محمدا وصحبه » (*)

وتنجلي المعركة فى صفين بعد أن تقتل الفئة الباغية عمارا بن ياسر .. ليحتضنه ابن عم النبى أمير المؤمنين على بن أبى طالب الى صدره والدم يبلله . ويكفنه فى ثوبه . ويصلى عليه ومعه حشد كبير من المسلمين ثم يقف عليه قائلا « رحم الله عمارا يوم أسلم ورحم الله عمارا يوم قتل ورحم الله عمارا يوم يبعث حيا . لقد رأيت عمارا وما يذكر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة الا كان رابعا ولا خمسة الا كان خامسا وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله يشك ان عمارا قد وجبت له الجنة فهنيئا لعمار بالجنة » .

ومات عمار فى عامه الثالث والتسعين بعد نضال يعز على الدنيا ان ترى نظيره مات رضي الله عنه وهو يقاتل فى ساحة القتال من اجل الحق ليتحقق فيه القول الخالد « ان عمارا مع الحق والحق معه يدور . عمار مع الحق اينما دار وقاتل عمار فى النار ».

الامام الحسن

كان الحسن بن على بن أبى طالب ينقد كل شىء يراه يستحق النقد وفى حق حتى ولو كان آباه

فذات يوم وعند الربذة وفى موقعة الجمل وقف الحسن يناقش أباه فقد صعب عليه أن يرى المسلمين شاهرى سيوفهم لتخضب أرض الصحراء بدمائهم فاشتد الجدال .

فقال الحسن لأبيه : « والله انى لأظن أنك ستقتل بمضيعة لا ناصر لك » .

علت الفرحة كل وجوه بيت النبى .

فقد ولدت فاطمة .. وكان المولود ولدا .. أول ولد لبيت النبوة .

وأخذه ابوه على بن أبى طالب الى رسول الله الذى ضمه الى صدره وأخذ يدعو له ويتلو بعض آيات الكتاب . ورفع النبى رأسه ليسأل على بن ابى طالب : « ما ستسميه يا على ؟ » فقال : « ما كنت لاسبقك باسمه يا رسول الله وان كنت أحب ان أسميه حربا » فقال النبى « بل سمه حسنا » .

وكان الحسن ..

وكان أحب الناس الى قلب رسول الله ..

كان يلاعبه ويحنو عليه .. ويتفقده فى كل وقت .. حتى بلغ هذا الحب مداه .. وأصبح حديث كل العرب ... فقد رأى رجل من الأنصار رسول الله وهو يلاعب الحسن ويضاحكه ويقبله فى حنان الأبوة فقال : والله يا رسول الله لم أقبل ولدا لى قط ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« أرأيت أن كان الله نزع الرحمة من قلبك فما ذنبى »

ثم يضع رسول الله قاعدة لكل أب فيقول :

« من كان له صبى فليستصب له » .

وكلام كثير عن حب الرسول للحسن .. ومواقفه لهذا الحب .. تبلغ الى حد أن يركب الصبى فوق كتفه وهو يصلى ويستمر النبى فى سجوده ... فيطول لكيلا يقطع على الطفل فرحته ولعبه .

وعاش الحسن فى حنان النبى سنوات طفولته المبكرة وكان يتعلم منه كل ما يحب معرفته عن الحياة .

وكانت تنقش فى ذهنه أولى معالم المعرفة وهو فى كنف النبى .. وفى حجره وبين صحابته ..

وانتقل النبى الى الرفيق الأعلى ..

وبقى الصبى وعمره آنذاك لم يتجاوز الثامنة ، ومع هذا لم يتصور هذا الصبى أن أباه رسول الله قد خلا مكانه .. فكان يذهب الى كل مكان تعود أن يلقاه فيه باحثا عنه .. حتى أبكى الصحابة طويلا من حزنه العميق ..

وذات يوم وأول مرة يصعد فيها أبو بكر منبر رسول الله .. فوجىء الصبى بقوم يستمعون الى أبى بكر وهو يخطب فيهم

فاخترق الصفوف متلهفا يجرى الى المنبر كما كان يفعل فلما وقعت عيناه على أبى بكر بكى وصرخ :

« انزل من على منبر أبى » .

وقفت الكلمات فى حلق أبى بكر وبكى ونزل فاحتضن الحسن وقال : والله انه لمنبر أبيك .. ووالله لو استطعت ان أفتديه بعمرى ما تأخرت . وأجهش بالبكاء وبكى كل الحاضرين وقد استروحتهم ذكرى رسول الله .

ومرت الأيام سراعا ليكبر الصبى .. ويشهد مع الأيام الاحداث الجسام .. بعد ما فقد رسول الله وامه فاطمة فى عام واحد ...

ولم يظهر على مسرح الأحداث الا أيام عثمان .. يوم وقف يذود عنه ويمنع السهام حتى تخضب وجهه بالدماء .. ولم يبعده الا ابن ابى بكر .

ثم نراه شابا قويا يقف الى جوار ابيه فى محنته أيام حكمه يعمل العقل ويرجع كل امر الى موقف رسول الله منه ، وكان سؤاله الدائم لأبيه ولكل من حوله : ماذا كان من امر رسول الله فى امر كهذا وفى يوم النهروان سأل اباه :

« يا أمير المؤمنين اكان رسول الله تقدم اليك فى امر هؤلاء بشىء » .

فأجابه : « ان رسول الله امرنى بكل حق ومن الحق ان اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين » .

وكان ينقد كل شىء يراه يستحق النقد وفى حق حتى ولو كان اباه على بن أبى طالب .. فذات يوم وعند الربذة وفى موقعة الجمل وقف الحسن يناقش أباه فقد صعب عليه أن يرى المسلمين شاهرى سيوفهم لتخضب أرض الصحراء بدمائهم فاشتد الجدال فقال الحسن لأبيه « والله انى لأظن انك ستقتل بمضيعة لا ناصر لك » .

فقال علي « انك لا تزال تحن علي حنينا جارفا ولكن قل لي ماذا رأيته انت فاستصوبته » .

فقال الحسن « لقد رايت يوم احيط بعثمان أن نخرج من المدينة فيقتل ولست بها ثم رأيته لك يوم قتله الا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة أهل كل مصر كأنهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت علي ، ورأيت لك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد كان على يد غيرك فلم تقتنع مني بذلك » .

فرد عليه الأب .. وكان يعلمه . واختتم حديثه :

« أتريدني أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال ليست ها هنا حتى تحول واذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه ؟ فكف عني يا بني » .

وكان رضى الله عنه خير سفير .. وخير متحدث .. فكان أبوه يرسله الى الوفود .. بعث به مع وفد من الصحابة فيه عبد الله ابن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد الى العراق يستنفر الناس قبل موقعة الوقائع . وكان هناك أبو موسى الأشعري يعمل لتسكين القوم . فوقف الحسن من فوق المنبر يخاطب جماهير المسلمين فتهتز له القلوب : « أيها الناس انه قد كان من مسير أمير المؤمنين ما قد بلغكم وقد أتينا مستنفرين لأنكم جبهة الأنصار ورءوس العرب ، وايم الله لو لم ينصره أحد منكم لرجوت فيمن يكون قد أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية فأجيبوا دعوة أمير المؤمنين وسيروا الى اخوانكم فسيوجد لهذا الأمر من ينفر اليه والله لئن يليه أولو النهى أمثل في العاجل والآجل وخير في العافية فأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وان أمير المؤمنين يقول قد خرجت مخرجي هذا ظالما أو مظلوما فاذكر الله رجلا رعى حق الله الا نفر فان كنت مظلوما أعانني وان كنت ظالما أخذ مني » .

وكان رضي الله عنه طيب الخلق يألف ويؤلف ، عاتب على بن طالب سليمان بن حرة الخزامى لعنفه بشدة الغضبته وتحدث بما احس به من مشاعر الى الحسن فأجابه « انما نعاتب من نرجو مودته ونصحه » .. فسر الخزاعى وكأن لم يحدث شيء .

وارتبط على الأب بالحسن الابن برباط قوى .. وكان كثيرا ما ينصحه قال له يوما :

« يا بنى احفظ عنى اربعا وأربعا لا يضرك ما عملت معهن أن أغنى الغنى العقل وافقر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب واكرم الحسب حسن الخلق .

يا بنى اياك ومصادقة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه واياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب » .

وأحس على مرة بقرب المنتهى فقال للحسن « انى وجدتك بعضى بل وجدتك كلى حتى كان شيئا لو أصابك أصابنى فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمرى — وأوصيك بتقوى الله ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله .. ولا تبع آخرتك بدنياك وأمر بالمعروف تكن من اهله وأنكر المنكر بيدك ولسانك وجاهد فى الله حق جهاده .. يا بنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن كما تحب أن يحسن اليك واستقبح ما تستقبحه من غيرك وارض من الدنيا بما ترضاه لهم من نفسك » .

و .. على فراش الموت كان على يمين على الحسن وعلى يساره الحسين فأوصاهما ، « اعملا الحق وقولاه وارجعا وارحما اليتيم واعينا الضعيف واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم انصارا . واعملا لله ولا تخافا فيه لومة لائم » .

ووجد الحسن نفسه بعد موت أبيه علي بن ابي طالب مطلوبا منه ـ وبلا مقدمات ـ أن يتولى أمرة المسلمين .. ورفض ..

ولكن المسلمين من حوله أبوا أن تنتهي المعركة بين علي ومعاوية بانتصار الأخير .. ووازنوا بين اثنين كان أقربهما الى قلب المسلمين ابن بنت النبي .

وعلم معاوية بالأمر فبدأ يستعد لمعركة قاسية ففيها نهاية أو بداية امبراطوريته .. واستعمل كل أسلحته المعروفة عنه .. الدهاء والمال الى جانب الارهاب والسيف .. واسرع بالعمل وبدأ الخلاف يدب بين انصار الحسن ، لا عليه شخصيا ، بل بينهم فان معاوية لم يكن ليجد على الحسن شيئا .. ولم يكن ليستطيع أن يواجهه العداء مستندا الى حجج ترجح كفة ميزانه وهو الذي سمع رسول الله يقول : من أحب الحسن أحبني ومن بغضه ابغضني لذا كانت معركته بالسيف .. وتشتيت شمل انصار الحسن حتى يتحاربوا .

ورأى الحسن ان يرد الأمر الى عامة المسلمين ليختاروا من يشاءون من غير قتال ولا اراقة دماء .. كان اخشى ما كان يخشاه الحسن ان يتقاتل المسلمون ..

ولكن المسلمين رفضوا من الحسن تنازله . فلجأ الى وسيلة أخرى يحول بها دون تقاتل المسلمين .

فأرسل الى معاوية خطابا قال فيه « انما حملني على الكتابة اليك الأعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك ولك في ذلك ان فعلت الحظ والصلاح للمسلمين فدع التمادي في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي فانك تعلم اني أحق بهذا منك عند الله وعند كل أواب حفيظ ومن له قلب منيب . واتق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين .. فوالله مالك من خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما انت لاقيه به . وادخل في السلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله » .

فرد عليه معاوية « .. وقد فهمت الذى دعوتنى اليه من الصلح .. ولكن قد علمت انى اطول منك ولاية واقدم منك بهذه الأمة تجربة وأكبر منك سنا فأنت أحق أن تجيبنى الى هذه المنزلة التى سألتنى » .

ولم يرد الحسن .. واستعجل معاوية الأمر فاذا به يعاود الكتابة الى الحسن قائلا « أما بعد فان الله يفعل بعباده ما يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب فاحذر أن تكون منيتك على أيدى رعاع الناس .

فرد عليه الحسن « وصل كتابك تذكر فيه ما ذكرت وتركت جوابك خشية البغى عليه وبالله اعوذ من ذلك فاتبع الحق تعلم انى من أهله وعلى الاثم أن اقول فأكذب والسلام » .

واستعدت الجيوش للقتال .

واهتز الحسن لفكرة أن تسيل دماء المسلمين بيد المسلمين وفى اغراض لا تنفع احدا .

ووجد الحسن امامه مرة أخرى ارواح المسلمين معلقة فى عنقه .. وشاهد ما تحدثه مؤامرات معاوية .. وتفرقة الصفوف وظهور الخوارج .. وعلم أن النتيجة بلا جدال ستكون من اجل الدنيا ومن اجل معاوية ولكن سيقدم الوف المسلمين ارواحهم قربانا لموكب نصر معاوية .. فآثر أن يهادن الأمر حتى يجمع المسلمون على وحدتهم وتنقشع عن أعينهم غشاوة زخرف مال معاوية واغراءاته .. **وقبل مصالحة معاوية** وأن يقر له بالولاية مشروطة بأمور اهمها :

أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين .

وليس لمعاوية أن يعهد لأحد عهدا بل تكون الخلافة للحسن من بعده أو يكون الأمر شورى بين الناس . والناس آمنون حيث كانوا من أرض الله .

وان يوصل لكل ذى حق حقه .

وحفظ الحسن عهده وترك الكوفة ليقضى فى المدينة تسع سنوات ونصف سنة عابدا يحفظ حق الله وينصح لكل ما يرى من خطأ وما اكثره .

ومع هذا فلم يترك فى حالة بل وعندما بلغ من العمر السابعة والأربعين قيل ان زوجته جعدة دست له السم بتحريض من معاوية، ووعد بأن يزوجها ابنه يزيد من بعده فمات الامام الحسن لتبكيه المدينة وكل البقاع الاسلامية .

ولتبدأ المعركة الفاصلة من بعده بين الحق والضلال بين «الأريحية والنفعية» بين أخيه الحسين .. ومعاوية ويزيد من بعده ولتكون من بعده .. كربلاء .

الامام الحسين

وقف الحسين بن على بن ابى طالب يخطب فى الجيش الذى يقوده ضده الحر بن يزيد التميمى :

أيها الناس انى لم آتكم حتى آتتنى كتبكم ورسلكم ان اقدم علينا فليس لنا امام ـ لعل الله يجمعنا بكم على الهدى والحق .
فقد جئتكم فان تعطونى ما أطمئن عليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مقركم وان لم تفعلوا أو كنتم لقدومى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى أتيت منه)) .

وجاء الحسين .. وزاد فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوليد الجديد .. لقد اصبح للحسن اخ ..

وصارت فرحة البيت النبوى حديث صحابة رسول الله .. واحب النبى الصبيين .. حتى احتار الصحابة والمقربون من النبى ايهما احب الرسول اكثر .. وبدا الآباء يتعلمون شيئا جديدا فى حياة العرب .. معالم تضىء حياة كل بيت ، وتدعم نظام كل اسرة ، وتجعل من الحب نبع الحياة لكل عائلة .

ويرى لنا التاريخ عن حدب النبى على الحسين الكثير .. فقد مر يوما على بيت فاطمة فسمع حسينا يبكى .. فدخل البيت واخذ

الحسين يداعبه ويضاحكه ويقول لابنته فاطمة « ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من التردد على بيت فاطمة ويقول لها : ادعى الى ابنى، فيشمهما ويضمهما له . . ولايبرح حتى يضحكهما ويتركهما ضاحكين . . حتى أن أبا هريرة يقول : « أنه كان عليه‌السلام يدلع (يخرج) لسانه الحسين فيرى الصبى حمرة لسانه فيهش اليه » .

ويظهر للصحابة حب الرسول الكبير لابنه الحسين ذات يوم حين يخرج عليه السلام للصلاة ومعه الحسين فوضعه الى جواره ثم كبر للصلاة فأطال سجدة الصلاة حتى قال راوى الحديث « فرفعت رأسى فاذا الصبى على ظهر رسول الله وهو ساجد فرجعت الى سجودى فلما قضى الصلاة قيل يا رسول الله . انك سجدت بين ظهرى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا انه قد حدث أمر أو انه يوحى اليك ، قال عليه الصلاة والسلام : كل ذلك لم يكن ، ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله » . .

بل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ صغيريه الى كل مكان . . حتى جلسة العلم التى يخبر صحابته فيها عن أمور دينهم ما بلغه من ربه . . وكأنه يقول لكل الناس من حوله . . وصايا . . يحفظونها فيما بينهم فى هذين الصبيين . . بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضم الولدين ويأخذهما الى قلبه . . ويمسك دمعه وخفقات قلبه الشريف تدق ألما للمصير الذى يحس أنهما سيلقيانه من بعده . .

وتمر الأيام . . ويعيش الحسين رضى الله عنه أحداث الحياة . . وهى تمر بالعالم الاسلامى . . وبالمجتمع المسلم . . ويساهم بدور محدود . .

فقبل أن يلى والده على بن أبى طالب خلافة أمر المسلمين . . كان يدور فى فلك أبيه . . فقد كان رضى الله عنه يتعلم دينه . . ويعلمه

ثم يعمل به .. فسار مع والده مودعا ابا ذر الى منفاه .. وكان معهما الحسن وبعض الصحابة رضى الله عنهم .. فقال الحسين فيما قال لأبى ذر :

« يا عماه أن الله قادر أن يغير ما قد ترى . والله كل يوم في شأن . وقد منعك القوم دنياهم . ومنعتهم دينك . وما اغناك عما منعوك وأحوجهم الى ما منعتهم . فأسأل الله الصبر والنصر . واستعذ به من الجشع والجزع فان الصبر من الدين والكرم وان الجشع لا يقدم رزقا والجزع لا يؤخر أجلا » .

ثم مرة ثانية كان الى جوار عثمان بن عفان يذود عنه ويحاول حمايته من الثائرين .. حتى يثخن بالجراح ، ويصاب فى أكثر من موقع .. وكان مع أبيه .. فى كل معاركه ومواقفه .

وبعد ابيه ..

كان الحسين الى جوار أخيه الحسن .. نعم الأخ .. ونعم رفيق الحياة .. يستمع الى ما يقول فينصحه .. ولكنه فى آخر الأمر يطيعه فيما يذهب اليه حتى ولو كان ضد رايه .

حدث ذات يوم أن الحسن قرر التسليم لمعاوية .. فعارض الحسين ورفض المسألة وأشار على أخيه بالقتال ، واشتدت معارضة الحسين لأخيه جدالا ومنطقا ولكن الحسن آخر الأمر أصر على موقفه وصرخ فى وجه أخيه قائلا : « والله لقد هممت أن أسجنك فى بيت واطين عليك بابه حتى أقضى بشأنى هذا وأفرغ منه ثم أخرجك » .

واحترم الحسين اتجاه أخيه .. وصمت .. واطاعه . ليس فى حياة الحسن فحسب .. بل وبعد مماته .. ولم يخرج على عهد الحسن لمعاوية ..

وعاش الحسين سنوات عمره بعد أخيه الى جوار قبر جده .. وفى مسجد نبى الاسلام .

وكان معاوية .. يسمع أخبـــار الحسين .. ويرى أثره فى كل من لاقاه .. ولا يخشى غير الحسين ..

وكان معاوية يعرف خلق الحسين رضى الله عنه ويخشاه ومن هنا جاءت المعركة عاجلة ..

قال معاوية لأصحابه ذات يوم وقد بعث بهداياه الى المدينة « أن شئتم أنبأتكم بما يكون من القوم .. » وأخذ يصف حال كل من تصله هديته وماذا سيفعل بها حتى قال : « اما الحسين فيبدأ بابتسام من قتل مع أبيـــه يوم صفين فان بقى شىء نحر به الجزر وسقى به اللبن » .

وبهذه المعرفة للاخلاق النبوية الشريفة الطاهرة فى سلوك وحياة سيد الشهداء .. وضحت معالم المعركة الرهيبة فى عالم الفداء .. ودنيا الاستشهاد .. وحياة الأبطال ..

فقد رأى معاوية لأمر ما أن يجعل الحكم وراثيا فى أهله .. وخشى أن هو مات أن لا يتحقق له ما يريد .. وبدأ يأخذ البيعة لابنه .. ويشتريها بالمال وتولية المناصب .. ولم يكن يخاف الا من الحسين ..

ثم مات معاوية .. وتولى الخلافة ابنه يزيد من بعده .. وبدأت معركة الاستشهاد ..

وبدأ الحسين رضى الله عنه يذود عن دين الله وهو يرى على رأس الأمة الاسلامية .. وفى مكان أبى بكر وعمر وعثمان وعلى .. حاكما يطلق على نفسه اسم الخـــلافة ولا يعمل بأمر الدين .. وانما يشرب الخمر .. ولا يقيم الصلاة .. وينتهك الأعراض ويبيح الأرواح .. ويستبيح الحرمات والدور حتى مدينـــة رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم ..

ورفض الحسين بن على .. ريحانة رسول الله .. كل دعوة لتاييد يزيد ..

وبدات جماهير المسلمين تبحث لها عن خليفة يتولى أمرها ..
ولم يكن لها أن تطيل البحث أو تتعب فيه .. فعندها ابن بنت رسول الله .. وقد بلغ من العمر السابعة والخمسين .. واكتمل نضجه .. وظهرت عبقريته .. وعاش الناس فى حكمته ..

وجاءت الدعوات اليه من الكوفة .. ومن مكة .. ومن ابناء المهاجرين .. وبقية السلف ..

وذهب الحسين الى مكة ..

ومكث فيها اربعة أشهر يدبر فيها أموره .. وليعرف حقيقة امر الدعوات التى انهالت عليه من كل مكان تدعوه الى الظهور وطلب البيعة .. وكان اكثر هذه الدعوات وأشدها من أهل الكوفة وما جاورها اذ كتبوا اليه يقولون أن هناك مائة الف ينصرونك ويستعجلون ظهورك .. ومع ذلك .. فان الحسين رضى الله عنه أراد الاستيثاق قبل ان يترك بيت الله الحرام فأرسل الى أهل الكوفة مركز التجميع الداعى اليه ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب ليعرف له جلية الأمر ويأخذ البيعة له من أهل الكوفة ومن حولها قبل قدومه عليهم وارسل معه كتابا اليهم يقول فيه « أما بعد فقد أتتنى كتبكم وفهمت ماذكرتم من محبتكم لقدومى عليكم وقد بعثت اليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب الى بحالكم وأمركم ورايكم فان كتب الى أنه قد أجمع رأى ملئكم ذوى الفضل والحجة منكم على مثل ما قدمت على به رسلكم وقرات فى كتبكم أقدمت عليكم وشيكا أن شاء الله فلعمرى ما الامام الا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام » .

ولم يكد يصل مسلم ويدخل المسجد حتى اجتمع حوله ثمانية عشر الفا يبايعون الحسين بالخلافة .. وازدادوا حتى بلغوا الثلاثين الفا .. وارسل يستعجل مقدم الحسين ويصف له اجماع الناس عليه ..

وهنا بدأت القوة الأموية بأساليبها تتجه الى مركز الثقل الداعى الى الحسين .. الى الكوفة .. فأرسلت اليها قوات لا تعرف الايمان .. ولا تخاف الله ولا تفهم الا المال وحب الدنيا .. وبدأت أيضا تنفذ أساليبها الأموية من الرشوة والخديعة والارهاب ..

وكان على رأس هذه الفئة عبيد الله بن زياد .. الذى أمر جنده بالانتشار حول كل بيت ليسمعوا الى ما يدور فيه ويقبضوا على كل معارض لحكم يزيد حتى خاف الناس جميعا .. وانفضوا من حول رسول الحسين مسلم ابن عقيل الذى وقع فى يد جند عبيد الله ، فقتلوه فى اليوم التالى لتحرك موكب الحسين بن على من مكة الى الكوفة .. من غير أن يعلم بالتغير الذى حدث ..

وكان هذا فى اليوم التاسع لذى الحجة ..

ولم يكن فى القاء القبض على مسلم ولا فى قتله شيء من النخوة العربية ولا خلق الاسلام .. ولا شيء من تكريم نبى الاسلام وابن بنت نبى الاسلام .. من قوم يدعون الاسلام ..

ومرة أخرى .. تظهر أخلاقيات بنى امية فى الحكم .. اذ قتل مسلم ولم تنفذ وصيته فى أن يصل تحذيره الى الحسين فى أن يعود لأن القوم سيوفهم جميعا عليه .. وقتل من أبلغه الوصية وتعهد بابلاغها ، وقطع رأسه ليرسل الى يزيد فى دمشق .. وألقى بجثته من أعلى القصر الى جموع الناس كمثل للعقاب الذى سيلقاه كل خارج على حكم يزيد .. وكل موال لابن بنت رسول الله .. ليس هذا فحسب .. بل كانوا يتعقبون كل انسان يتحرك ضميره فيهم بالسير الى الحسين محذرا فيقتل قبل أن يصله ..

واستمر موكب الحسين الذى ضم كل آل البيت فى الطريق من مكة الى الكوفة .

وفى الطرق .. كانت هناك بعض الأخبار المتعارضة تصل الى الحسين عن مقتل مسلم .. وعن عدول الناس عن مبايعته ... وتحولهم الى خصوم يطلبون رأسه .. وكان رضى الله عنه كما سمع

خبرا من ذلك يجمع القوم الذين أثروا السير معــه ويقول لهم « لقد خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف .. ليس عليه منا زمام » ..

وكان البعض ينصرف .. وكان القلة هم الذين بقوا .. وكان الحسين مصرا على السير الى لقاء القوم ليقول لهم كلمة الحق .. ويبين لهم معالم حياتهم .. وليفرق بين الحق وباطلهم .. وليدلهم على طريق الاســلام ..

وكان رضى الله عنه .. وكأنه مساق الى لقاء ربه .

وبينما هو كذلك فى طريقه يسير فى اباء وشمم .. وفى اخلاقيات بيت النبوة .. اذا بجيش يحيط به .. أرسله عبيد الله من ألف فارس وأمرهم الا يدعوا الحسين حتى يقدموا به عليه فى الكوفة ..

وكان موعد اللقاء .. موعد صلاة الظهر .. وارتفع صـــوت المؤذن للصــلاة فوقف الحسين يخطب الجيش الذى يقــوده ضــده الحر بن يزيد التميمى :

« أيها الناس انى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا فليس لنا أمام . لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق . فقد جئتكم فان تعطونى ما أطمئن عليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مقركم وان لم تفعلوا أو كنتم لقدومي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى أتيت منه » ..

وأصر الجيش الأموى ذو الأربعة آلاف مقاتل .. على قتال الحسين وصحبه .. وحبسوا عنه الماء ثلاثة أيام وتزيد .. وحدثت فى الموقعة الأخيرة الحاسمة أحداث مرت بآل بيت النبى .. فقد انتهكت حرماتهم .. وحرمت عليهم المياه .. بل قذفوا ابن الحسن بسهم ومات .. ولم يملك له عمه شربة ماء .. بل أن الحسين أشـــتد به العطش فاتجه الى الفرات ليشرب فرماه حصين بن نمير بسهم وقع فى فمه فانتزعه الحسين فانبثق الدم حتى ملأ كفتي ابن بنت رسول

الله فرفع عينيه الى السماء يقول (أن تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه انتقم لنا من القوم الظالمين) ..

وجاء اليوم الحزين .. يوم ١٠ من المحرم لعام ٦١ هـ ..

وقبل أن يبدأ القتال خرج الحسين مرتديا لباس رسول الله وعمامته فأخذ لمنظره الجميع .. ولكن أصروا على قتاله ..

وأراد الحسين أن يخطب فيهم اسلامهم أن كان لا يزال فى قلوبهم .. ورغم الضجيج ، ومقاطعة قادة الجند .. عملاء بنى امية .. .. فقد قال الحسين لهم : أنبئونى من انا ؟ هل يحل لكم قتلى وانتهاك حرمتى ؟ ألست ابن بنت نبيكم ؟ .. أو لم يبلغكم ما قاله رسول الله لى ولأخى .. هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟ ويحكم اتطلبوننى بقتيل لكم قتلته أو مال لكم استهلكته ؟ ..

فلم يرد أحد .. ولم يتراجع منهم احد .

بل بدأت المعركة .. وكل السواعد الأموية تريد الحسين .. وكل أصحاب الحسين يذودون عنه بأرواحهم .. وتساقطوا واحدا وراء واحد .. حتى بقى ثلاثة واستشهد الثلاثة ايضا ..

وبقى الحسين وحيدا يقاتل ..

وأصدر شمر بن ذى الجوشن أمره الى الرماة أن يرشقوا الحسين بالنبل . أندفعوا نحو سيد الشهداء « فضربه زرعة بن شوئك التميمى على يده اليسرى فقطعها وضربه غيره على عاتقه فخر على وجهه ثم جعل يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيف حتى سكن حراكه » .. ووجد فى جثمانه الشريف بعد موته ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير مائة وعشرين اصابة من النبل والسهام ..

وتقدم شمر وقطع رأس الحسين .. ووضعه على حربة .. ليقدمها مع رؤوس الشهداء فى موكب آل بيت رسول الله الى يزيد ابن معاوية .

والصحراء والدنيا كلها تردد صياح زينب رضى الله عنهما « يا محمداه هذا الحسين بالعراء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا » .

وبكاؤها الدامى « واثكلاه اليوم مات جدى رسول الله وامى فاطمة الزهراء وابى على واخى الحسن . فليت الموت أعدمنى الحياة »

ياحسيناه .

يا بقية الماضين .

وثمالة الباقين .

أبو بكر الصديق

يسأل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ذات يوم عن أحب الناس اليه فيقول ((عائشة)) فيقولون انما نعني من الرجال فيقول ((أبوها)) .

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام يوما : (ما لأحد عندنا يد وقد كافأناه فيها ماخلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة) .

ليست هذه حياة الخليفة الأول أبو بكر الصديق وانما هى لحظات معه تبدأ من يوم هجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أن يأذن الله لنبيه بالهجرة من مكة الى المدينة ويوافق الرسول على مطلب الصديق أبى بكر من دون المسلمين جميعا فى أن يكون صاحبه فى هذه الرحلة الخطرة التى اهتزت لها قريش وقبائل المشركين ودعاة الفكر فى كل مكان .

وفى الغار حيث مكثا وقتا غير قليل فى انتظار لحظات يأس من المشركين فى مطلبهما ليواصلا سيرهما ، رفع أبو بكر رأسه فرأي كل شيء حوله فقال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (يا رسول الله لو نظر أحدهم الينا لرآنا) . فيقول له الرسول : (يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا ، ويقول ما ظنك باثنين الله ثالثهما) . وينزل قوله تعالى

(الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار) .

ومن يومهـا يرتفع ذكر أبى بكر فى عالم الاسلام والمسلمين والخلود ..

ويصل النبى وصاحبه الى المدينة سالمين باذن الله ومن بعدها لم يفارق ابو بكر رسول الله . ظل الى جانبه فى الحرب وفى حلقات الدرس وفى كثير من الأوقات فى بيت النبى عند ابنتـه عائشـة أم المؤمنين .

ويتحدث النبى كثيرا ويعلن عن محبتـه لأبى بكر فى مواقع كثيرة ومختلفة حتى ليسأل ذات يوم عن أحب الناس اليه فيقول (عائشة) فيقولون انما نعنى من الرجال فيقول (أبوها) .

ويقول - عليه الصلاة والسلام - يوما : (ما لأحد عندنا يد الا وقد كافأناه فيهـا ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة) .

ثم يأمر النبى وهو على فراش المرض أن يؤم المصلين أبو بكر . ويرفض النبى - عليه الصلاة والسلام - أى معارضة فى هذا من عائشة ومن غيرها ولو كان ذلك باسم الخوف على أبى بكر ، لأنه ضعيف القلب قد يغلبه التأثر فيبكى ولا يسمعه المصلون) .

وينتقل الرسول ..

وتخرج الفتنة من الجحور .

وتبدأ بيوم السقيفة وصراع حول من يتولى أمر المسلمين لتخمد قليلا بعد تدخل الحكماء والمخلصين بتولى أبى بكر الخلافة ومن اللحظة الأولى يحدد منهاج سياسته فيقسم أن لا يفعل شيئا لم يفعله رسول الله ، ثم يبدأ خطابه فيقول :

(أيها الناس . انى وليت عليكم ولست بخيركم . أن أحسنت فاعينونى وان أسأت فقومونى ... الصدق أمانة . والكذب خيانة .

والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله . والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل . ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء . اطيعونى ما أطعت الله ورسوله. فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم) .

وليس هذا فحسب ، بل كان على أبى بكر أن يوضح أمرا هاما ويعمل على ترسيخه فى عقول المسلمين ، ذلك أنه ليس بسلطان ولا ملك وانما هو حاكم للمسلمين فى حدود كتاب الله وسنة رسوله فقط . ومن أجل هذا يثور يوما حين يقول له واحد من المسلمين : يا خليفة الله .. ويرد عليه لا تقلها ولا تقولوها . بل قل يا خليفة رسول الله .

ومن اليوم الأول بدات الصعاب وبدأ معها الخليفة يعطى للتاريخ صورة واضحة للايمان المخلص والحاكم الذى لا ينافق ضميره أو يتلون مع الأيام بدأ أولا يرتب ظروف حياته ومعيشة أولاده قبل أن تشغله الأحداث . فبدأ ينظم وقتا يذهب فيه الى السوق متاجرا الى أن يراه عمر بن الخطاب يوما فيسأله الى أين فيقول الى السوق. قال : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين فيقول . فمن أين اطعم عيالى فيذهب معه عمر الى عبيدة بن أبى الجراح أمين بيت المال ليفرض له قوته وقوت عياله كواحد من المسلمين ليتفرغ لمهام منصبه .

وكانت أول الصعاب التى تقابل ابابكر بعث اسامة بن زيد الذى أمر به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليقاتل الروم وتاخر المسير لوفاة النبى . فقد راى بعض المسلمين تأجيل هذه الحملة بدعوى أن المجتمع الاسلامى يموج بالتمرد . وأن هناك شائعات حول ردة كثير من المسلمين الأمر الذى يؤثر فى عمر نفسه فيذهب مع عمر نفر من المسلمين ليجادلوا أبا بكر فى أمر بعث أسامة فيكون رد الخليفة (ليتم بعث اسامة) .. (والذى نفس أبى بكر بيده لو

ظننت أن السباع تتخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته) .

ويحاول المتمردون مرة أخرى مع أبي بكر في تنحى اسامة الشاب المسلم عن قيادة الجيش ، اذ فيه من هم أسن منه واسبق في الاسلام واخبر بالقتال فيرفض في شدة وعنف ويقول (والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ..) .

ويودع أبو بكر الجيش راجلاً وأسامة راكبا ويرفض أى وضع غير ذلك (فما يضيرني أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله ..) ثم يستأذن الخليفة القائد أسامة في استبقاء عمر فيوافقه .

وينتصر أبو بكر . وينتصر معه الحق اذ يعود الجيش منتصرا فيظهر للعالم الخارجي أن المسلمين في منعة وقوة وأنهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخطر آخر يجده أبو بكر أمامه .. فقد ظن ضعاف الاسلام والمتربصين بدين الله أن المدينة قد خلت من جيش المسلمين وأنهم بامكانهم أن يغيروا من أمر الله فرفضوا دفع الزكاة . وقالوا انها نوع من الأتاوات وأصر أبو بكر على دفع الزكاة . وتدخل بعض الصحابة يطلبون من أبي بكر أن يأخذ الناس بالرفق وأن يهادنهم حتى يعود الايمان الى قلوبهم فيعودوا الى دفع الزكاة فكان رد أبي بكر : الاستعداد للقتال (فو الله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال) .

وتبدأ الحروب العنيفة فعلا ضد مانعي الزكاة . وضد المرتدين على السواء وتشهد الجزيرة العربية قتالا عنيفا يصول فيه الصحابة وحملةالكتاب ويتم النصر لهم ويعود المجتمع الأسلامي الى وحدته والى أصالته والى اتباع كل ما جاء بكتاب الله وسنة رسوله ، حتى يقول البصري (دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول له اننا فداؤك فلولاك انت لهلكنا فقلت من

المقبل ومن المقبل قالوا عمر يقبل رأس ابى بكر فى قتال اهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين .

وانتهى العام الأول من عهد خليفة رسول الله وقد عادت الأمور الى ما كانت عليه أيام الرسول فى عام واحد فقط . عاد المجتمع الاسلامى الى وحدته وقوته ولينطلق المسلمون فى رحاب الأرض يرفعون راية لا اله الا الله محمد رسول الله . وينشرون السلام والعدل والحق ..
ينشرون الاسلام .

وتخرج من المدينة أول الجيوش التى تدق ابواب فارس .. وتخرج منها أيضا قوات تزلزل حكم الروم فى الشام .. وتبدأ الفتوحات الاسلامية وتظهر فى الوقت نفسه عبقريات المدرسة المحمدية فى القتال وضد عتاة الحرب وصانعيها ومن هذا وصايا أبى بكر الى جيوشه المقاتلة فيقول فى وصية لأحد قواده :

(واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم . واقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ولا تريشهم فيروا خلقك ويعلموا علمك . وأنزلهم فى ثروة عسكرك . وامنع من قبلك عن محادثتهم . وكن انت المتولى لكلامهم . ولا تجعل سرك كعلانيتك فيختلط أمرك) .

وبمثل هذه النصائح وبايمان القلة فى العدد استطاع المسلمون — وفى أيام أبى بكر وقبل أن يمضى خمسة عشر شهرا — ان يدقوا أبواب فارس وأن يتخذوا الحدة أول عاصمة اسلامية فى العراق يذكر فيها اسم الله وتقام فيها الصلاة ويطبق فيها شريعة الله .

وأما عن الشام فكانت أولى منافذ النصر موقعة اليرموك فى عهد أبى بكر وانتصار المسلمين العظيم فيها الذى هز الروم والعالم من ورائها وكانت بداية زحف المسلمين فى أرجاء الأرض من بعد أبى بكر — رضى الله عنه — .

ومع هذا كله فلم يشغل أبو بكر عن تنظيم العــدل واحقــاق السـلام وتوفير الضمانات الاجتماعية التى ضمنها الدين . فولى أمين الأمة على بيت مال المسلمين وكانت الأموال تتدفق عليه من كل مكان حتى خشى بعض المســلمين على بيت المال فيســألوا أبا بكر (ألا تجعل على بيت المال من يحرسه) فقال لا .. لأنه كان يعلم أى مجتمع يعيشه ويعرف أن خزائن البيت تفرغ فى سبيل الله ولخلق الله أولا بأول ، ولأنه كان يعرف أن عمرا حينما ولاه على قضــاء المدينة لم يجد طوال عام كامل قضية يفصل فيها .

ولم يميز أبو بكر واحــدا من المســلمين على آخر حتى الذين سبقوا بالجهاد ، فقد كان لبعض الصحابة رأى فى أن يأخذوا نصيبا أكبر وكان رأى الخليفة : (انما اسـلموا لله ووجب أجرهم عليــه يوفيهم ذلك فى الآخرة وانما هذه الدنيا بلاغ) ... (ان هذا المال معاش والأسوة فيه خير من الاثرة) وأمر بالمساواة .

وكان والى اليتامى حتى قبل أن يكون خليفــة فلم يتغير ، بل ظل يبحث عنهم ويعاونهم فى حياتهم حتى أنه كان يطهو لهم الطعام ويحلب لهم الشاة ويروى لنا التاريخ أنه كان يحلب الشــاة لواحدة من بنات المسلمين الشهداء وعنــدما تولى الخلافة استمر على عادته وذهب ليحلب الشاة ويداعب الطفلة فجاء صوت أمهــا من وراء الخباء تسأل الطفلة عمن يكون معها فقالت : (حالب الشاة يا أماه) فأبصرت المرأة فرأت أبا بكر فقالت لابنتها (ويحك الا تقولين خليفــة رســول الله) .

وكان ـ رضى الله عنه ـ يسأل المسلمين عن أخبــار ولاتهم .. كان يسأل كل من يلقاه فى مواسم الحج وغيره (هل من أحد يشتكى ظلامــة) .

وكان ينهى ولاته عن التجسس حتى لا يفضح أمرا ولا يكشف عن اسرار المسلمين .

وكان يرفض أن يحكم بما يعلم فقط ويأمر القضاة بأن لا يدينوا انسانا لمعلومات خاصة عندهم (لو رأيت رجلا على حد من حدود الله لم آخذه حتى يكون معى مشاهد غيرى) .

وقد خاف على المسلمين الأول من الفتنة وأن تجتذبهم الدنيا فيشغلوا بتحقيق ثروات طائلة لا تتفق مع المجتمع الاسلامى ، ويفتنون الناس بصحبتهم لرسول الله ، فأمسك بهم عنده حتى سئل ذات يوم لم لا يولى أهل بدر المناصب فقال (أكره أن أدنسهم بالدنيا) .

وفوق هذا كان يجلس للناس يعلمهم أمور دينهم وقرأ يوما قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسهم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وقال ان الناس يضعون هذه الآية فى غير موضعها الا وانى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول :

(ان القوم اذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه والمنكر ولا يغيروه عمهم الله بعقابه) .

ومن أجل ذلك كان أبو بكر أول من عمل على جمع القرآن وبدأ الجمع فعلا فى حياته وتم من بعده .

وآن للمهاجر أن يلقى ربه بعد خلافة لم تزد فى عمر الزمن عن عامين وثلاثة شهور ، حمى فيها الرسالة وأدى الأمانة ليوصى من بعده بعمر بن الخطاب خليفة ويقول للمسلمين .

(انى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا وانى لم آل والله ورسوله ودينه ونفسى واياكم خيرا . فان عدل فذلك ظنى به وعلمى فيه وان بدل فلكل امرىء ما اكتسب من الاثم . والخير أردت ولا أعلم الغيب . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

ويوصى ايضا وهو على فراش الموت ابنته عائشة ان تحمل تركته الى بيت مال المسلمين عقب وفاته فورا ، فهى حق لهم وهى من

اموالهم وليس لاحد حق فيها غيرهم وتقدم عائشة التركة الى عمر بعد وفاة ابيها فاذا بها (بعير كان يستقي عليه الماء . ومحلب كان يحلب فيه اللبن وعباءة كان يستقبل فيها الوفود) .

ثم يغمض ابو بكر عينيه والى الابد ليقف على بن ابى طالب — رضى الله عنه — ينعيه بدموعه ويقول :

(رحمك الله يا ابا بكر . كنت والله أول القوم اسلاما . واخلصهم ايمانا . واشهدهم يقينا واعظمهم غنى . واحفظهم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — واحد بهم على الاسلام .. واحماهم على أهله . وانسبهم برسول الله خلقا وفضلا وهديا وسمتا ، فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا . صدقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا . وسماك الله فى كتابه صديقا فقال : (والذى جاء بالصدق وصدق به) يريد محمدا ويريدك .

كنت والله للاسلام حصنا وللكافرين ناكبا . لم تضلل حجتك . ولم تضعف بصيرتك . ولم تجبن نفسك كالجبل ولا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف . كنت كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ضعيفا فى بدنك قويا فى دينك . متواضعا فى نفسك عظيما عند الله . جليلا فى الارض كبيرا عند المؤمنين . لم يكن لاحد عندك مطمع أو هوى . فالضعيف عندك قوى والقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذه للضعيف . فلا حرمنا الله اجرك ولا اضلنا بعدك) .

عمر ابن الخطاب

يرفع عمر بن الخطاب اثناء ولايته ــ لــواء حرية الكلمة ، يسمع الناس عن شدته وصراحته فيخلو الى نفسه حزينا ويدخل عليه حذيفه فيجده مهموم النفس باكى العين فيساله الأمر فيقول : انى أخاف ان اخطىء فلا يردنى احد منكم تعظيما لى . فيقــول حذيفة ((والله لو رأيناك خرجت عن الحق اردناك)) فيفرح عمر .

وأيضا ليست هذه قصــة حياة امير المؤمنين عمر ابن الخطاب .. وانما لحظات معــه .. تبدأ من ايام توليه خلافة المســلمين .. ولا تنتهى بموته رضى الله عنــه ..

ويقف عمر بن الخطــــاب اول ساعات عهــده بالامارة ليخطب المسلمين فى المسجد قائلا : بلغنى أن الناس هابوا شــدتى ، وخافوا غلظتى ، ــ وقالوا قد كان عمر يشتد ورســول الله بين أظهرنا ثم أشتد علينا وأبو بكر والينا .. الا من قال هذا فقد صدق ، فانى كنت مــع رســول الله عونه وخادمه .. وكان ــ عليــه الصــلاة والسلام ــ لايبلغ أحد صفته من اللين والرحمة وكان كما قال الله تعالى : « بالمؤمنين رءوف رحيم » فكنت بين يديه ســيفا مسلولا حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى . **فلم ازل مع رسول الله ــ صــلى**

الله عليه وسلم ـ على ذلك حتى توفاه الله وهو عنى راض والحمد لله على ذلك كثيرا وانا به اسعد .

ثم ولى أمر المسلمين أبو بكر ، فكان من لاتنكرون دعته وكرمه ولينه فكنت خادمه وعونه أخلط شدتى بلينه فأكون سيفا مسلولا حتى يغمدنى فأمضى .. فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله ـ عز وجل ـ وهو عنى راض والحمد لله على ذلك كثيرا وانا به اسعد .

ثم انى قد وليت أموركم أيها الناس فاعلموا أن الشدة قد ضعفت ولكنها انما تكون على أهل الظلم اقوى .. فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ولست أدع احدا يظلم أحدا أو يعتدى عليه حتى أضع خده على الارض حتى يذعن للحق وانى بعد شدتى تلك أضع خدى على الارض لأهل العفاف وأهل الكفاف ..

ولكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذونى بها ..

لكم على ألا أجتبى شيئا من خراجكم وما أفاء الله عليكم الا من وجهه ، ولكم على اذا وقع فى يدى ألا يخرج الا فى حقه ، ولكم على أن أزيد عطايكم وأرزافكم ان شاء الله تعالى وأسد ثغوركم .

ولكن على ألا أبعثكم فى المهالك واذا غبتم فى البعوث فأنا ابو العيال حتى ترجعوا اليهم .

فاتقوا الله وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واحضارى النصيحة فيما وليت من أمركم .

وبدأ ابن الخطاب عمله ..

كان عليه أن يجعل من نفسه نموذجا فأخذها بالشدة .. حتى كان أقل واحد من المسلمين يعيش أفضل من معيشة أمير المؤمنين .. ووضع لنفسه خطا (بئس الوالى انا ان طعمت طيبها وتركت للناس

عظامها) .. ومع الكفاف الذى كان يعيشه كان ينظر اليه على أساس انه شيء كبير جدا لم يحظ به زملاؤه فى الجهاد .. والذين سبقوه بالشهادة فى سبيل الله .. وكان يقول كلما راى شيئا انعم الله به عليه « كل هذا لنا وقد مات أخواننا فقراء لا يشبعون من خبز الشعير » .

ولم يكتف بنفسه ، بل امتد تمسكه بالكفاف الى أهله وذويه . فكان يصر على أن يكون فى آخر قوائم المسلمين .. وكان يراقب اعمالهم ويأخذهم بالشدة لكيلا يقول الناس (لانهم اقارب أمير المؤمنين) حتى ابنه عبد الله يدخل عليه ذات يوم وقد اشتد الكرب بالناس فيجده يتناول طعامه وفيه شرائح من لحم فيغضب ويقول له الأنك ابن أمير المؤمنين تاكل لحما والناس فى خصاصة الا خبزا وملحا » .

ويذهب ذات يوم الى السوق فيرى ابلا سمينا تمتاز عن بقية الابل بامتلائها فيسأل لمن هذه الابل فيقولون (لعبد الله بن عمر .. فيهتز ويقول عبد الله بن عمر .. بخ .. بخ يا ابن امير المؤمنين) ويرسل فى استدعائه على عجل ويسأله عن هذه الابل فيقول « انها ابل هزيلة اشتريتها بمالى وبعثت بها الى المرعى لأتاجر فيها فيقول له .. الخليفة — الأب — متمما حديثه فى سخرية لاذعة ، ويقول الناس حين يرونها ارعوا ابل ابن امير المؤمنين .. اسقوا ابل ابن أمير المؤمنين .. وهكذا تسمن ابلك ويزيد ربحك يا ابن أميرالمؤمنين» ويقطع كلامه ليصدر أمرا : « يا عبد الله خذ راسمالك الذى دفعته فى هذه الابل واجعل الربح فى بيت مال المسلمين .

وبهذا الاسلوب كان يختار أعوانه ، ولاة الاقاليم يريدهم صورة رائعة .. ونموذجا اسلاميا فريدا .. كان يضع أمام عينه قاعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم — « أنا لا اتولى هذا الامر احدا يسأله او يحرص عليه » . ويسأل أصحابه أن يدلوه على الرجل المناسب ليضعه فى مكانه المناسب على راس احدى الامارات وبحيث

يكون كما يريد « أريد رجلا اذا كان فى القوم وليس أميرهم بدا كأنه أميرهم ، واذا كان فيهم وهو اميرهم بدا كأنه واحد منهم » . فاذا تحقق له ما يريد قرر تعيينه بعد الاختيار وقبل أن يرسل به الى الأنصار كان يوصيه فيقول (انى لم استعملك على دماء المسلمين ولا على أعراضهم ولكنى استعملتك لتقيم فيهم الصلاة وتقسم بينهم وتحكم فيهم العدل) ثم يملى عليه نواهى يجب عليه تجنبها » .

« الا تركب دابة مطهمة ، ولا تلبس ثوبا رقيقا ، ولا تأكل طعاما رافها ولا تغلق بابك دون حوائج الناس » ..

ولا تنتهى مسئولية عمر بن الخطاب عند هذا الحد بشأن اختيار الحكام .. بل يتابع نشاطه وسلوكه .. ذات يوم يسأل عمر أصحابه « أرأيتم اذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أيبرىء ذلك ذمتى ، فيقول له أصحابه نعم .. فيرد عليهم : كلا حتى أنظر فى عمله عمل بما أمرته أم لا ؟ » ثم يقول مرة أخرى « أيما عامل لى ظلم أحدا وبلغتنى مظلمته فلم أتميزها فأنا الذى ظلمته » .. وبعد هذا يعلم الناس أنهم رقباء على تصرفات الحكام فان الحاكم فى خدمة المسلمين .

وفى احدى مواسم الحج جمع ولاته وعماله مع الحجاج ووقف خطيبا يقول للحجاج : « أيها الناس والله لأبعث عمالى اليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوى هذا فليرفعه الى . والذى نفسى بيده لأمكننه من القصاص » .. من أجل هذا كان عمر يسأل الوفود حين تلقاه عن ولاتهم وماذا يفعلون ، وما سيرتهم فيهم .. ويعاقب من يخطىء منهم لا تشفع له عنده أى سابقة جهاد أو صحبة .. وكان من بين هؤلاء أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص وغيرهما .

ويحدثنا التاريخ أن وفد حمص التقى بعمر ذات يوم فسألهم عن واليهم عبد الله بن قرط فيقولون خير أمير يا أمير المؤمنين لولا أنه بنى لنفسه دارا فارهة ، فيبهت عمر ويستدعى رسولا يأمره بالسفر

فورا الى حمص ليأتيه بعبد الله بعد أن يحرق له باب داره .. ويأتى عبد الله الى المدينة ، ويطلب لقاء الخليفة ثلاثة أيام من غير ان يأذن له حتى كان اليوم الرابع فيضرب له موعدا فى مكان يقال له (الحرة) حيث تعيش أبل الصدقة واغنامها .. ثم يأمره بخلع ثيابه واستبدالها بلباس الرعاة ويقول له : « هذا خير مما كان يلبس أبوك » ويناوله عصا ليهش على الغنم ويقول « وهذه خير من العصا التى كان ابوك يهش بها على غنمه » ، ويأمره « أن اتبع الأبل وأرعاها يا عبد الله » وبعد أيام يستدعى عمر عبد الله .. ويطلب منه العودة الى عمله على الا يعود الى الاستعلاء أو التمييز عن عامة المسلمين « فما ارسلتك لتشيد وتبنى » .

وهكذا استمرت حياة امير المؤمنين عمر بن الخطاب اسطورة فى التاريخ كله .. بدأ بنفسه واختيار وكلائه ، وبعد هذا عكف على ثروات المسلمين يحافظ عليها ، وعلى أموال الصدقات يرعاها بنفسه ويدعو الى ذلك أصحابه .. يروى لنا التاريخ ايضا فى هذا المجـال احدى الروائع ، فيقال أنه فى يوم صيف شديد الحرارة ، وبينما عثمان بن عفان يقف داخل احـد بيوته لمح رجلا يسوق امامه بعيرين صغيرين والهواء الساخن يكاد يشويه فيطلب من أحد عماله أن يرقب هذا الرجل من الباب فاذا ما احتاج الى معونة أعانه واذا بالرجل يقترب .. واذا بالعامل يصرخ أنه أمير المؤمنين .. فنادى عثمان عمر من الباب وسأله عن الذى أخرجه فى هذه الساعة فقال له « بكران من أبل الصدقة تخلفا عن المرعى فخشيت أن يضيعا فيسألنى الله عنهما ، فيدعوه عثمان الى الظل على أن يرسل أحد عماله ليتولى هذا عنه فيقول له « بل عد أنت الى ظلك يا عثمان » .

ورواية أخـرى ..

ذات يوم جاء وفد من العراق ليزوره وكان معهم الاحنف بن قيس فاذا بهم يفاجئون به والحر شديد جدا .. والوقت منتصف النهار وكان منهمكا فى تطبيب بعير من ابل الصـــدقة وما كاد يرى

ضيوفه وفيهم الأحنف حتى ناداه : ضع ثيابك يا أحنف وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فانه من ابل الصدقة وفيه حق للأرملة والمسكين واليتيم .فيقول رجل من الوفد أدهشته المفاجأة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين أن عبدا من عبيد الصدقة يعفيك هذا .. « فيقول عمر » وأى عبد أعبد منى ومن الأحنف .. ثم يستأنف عمله » .

وهكذا عاش عمر ماعاش فى المدينة يرسى قواعد الحق والعدل الاسلامى .. ويحسن توزيع المال ، ويجعل الأرض من مال المسلمين ويفرض للوليد وللعاجز ويدفع المسلمين على الكسب .. ويحسن توزيع الثروات ويمنع فشو الثروات ويقول : « أنى حريص على الا ادع حاجة الا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض فاذا عجزنا تأسينا فى عيشتنا حتى نستوى فى الكفاف » .. ويحدد سياسته فى المال فيقول « الا وانى ما وجدت صلاح هذا المال الا بثلاث أن يؤخذ من حق ويعطى فى حق ويمنع من باطل .. الا وانما أنا فى مالكم هذا كوالى اليتيم ان استغنيت استعففت ، وأن افتقرت أكلت بالمعروف»

ويرفع ـ رضى الله عنه ـ لواء حرية الكلمة يسمع همس الناس عن شدته وصراحته فيخلو الى نفسه حزينا ويدخل عليه حذيفة فيجده مهموم النفس باكى العين ، فيسأله الأمر فيقول انى أخاف أن أخطىء فلا يردنى أحد منكم تعظيما لى .

فيقول حذيفة « والله لورأيناك خرجت عن الحق لرددناك اليه » فيفرح عمر ويقول « الحمد الله الذى جعل لى أصحابا يقوموننى اذا أعوججت » .

ويدخل عليه ذات يوم رجل غاضب ثائر وفى يده شعر محلوق ويخترق مجلس عمر حتى اذا ما وصله يقذف بالشعر فى صدره فيغضب الناس من حول عمر ويهمون بالرجل فيمنعهم عمر .. ويطلب من الرجل أن يجلس ويهدىء من روعه أولا ثم يحدثه عن الأمر .. وبعد مدة يقول الرجل قصته وهى أن أبا موسى الأشعرى

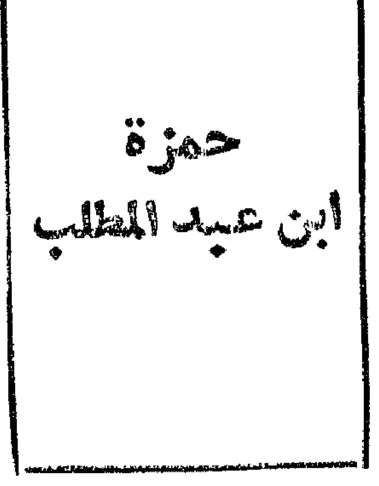
انزال به عقوبة لا يستحقها فجلده وحلق رأسه . فلم يجد أمامه غير عمر .. وعندئذ ينظر عمر الى أصحابه ويقول : لأن يكون الناس كلهم فى قوة هذا احب الى من جميع ما أفاء الله علينا » .

ويصعد عمر المنبر يوما فيقول :

« يا معشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت براسى الى الدنيا هكذا » ...

فيشق الصفوف رجل يلوح بذراعه ويقول (اذن نقومك بالسيف هكذا) .. فيسأله عمر (أياى تعنى بقولك) فيجيب الرجل نعم .. اياك أعنى بقولى .. فيفرح عمر ويقول (رحمك الله والحمد لله الذى جعل فيكم من يقوم عوجى) .

وهكذا سارت أيام الخليفة الثانى لترسى قواعد تمد المفكرين واصحاب الدعوات من بعده الى أن تقوم الساعة .



جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه ينتظرون شهداء معركة أحد.. فيأخذوهم ليواروهم التراب ووقعت عينا الرسول وصحبه على جثمان حمزه بن عبد المطلب وقد فعلت به الأفاعيل .. وامتلأت عينا الرسول بالدمع .. وقال كمن يناجي عمه : لن أصاب بمثلك أبدا ، وما وقفت موقفا قط أغيظ الي من موقفي هذا ؟

عاش حياته ثائرا على الظلم .. وعلى الفقر .. وعلى الأوضاع التى كانت عيناه تقع عليها .. ولكنه لم يكن يعرف ماذا يفعل .

ومن أجل هذا كان يغرق نفسه فى النسيان بشرب الخمر .

ويسير مع الخلان .. وينطلق الى الصيد .. بعد أن تغلب على ظروف حياته القاسية التى جعلته يصل الى حافة الاملاق .. وارتفع فوقها وصار له من القوة والجاه ما يجعل عظماء قريش وكبار القوم كلما شاهدوه وقفوا له .. اجلالا واحتراما . . واستمسكوا به فى معركتهم ضد محمد عليه الصلاة والسلام .. فقد كان القوم يعرفون حب حمزة لابن أخيه .. وهما رفيقا عمر . وزميلا حياة .. نشآ معا ليس بينهما فارق غير عامين فقط ومهما اختلف الرواة فى هذا الفارق ، الا أنهم اجمعوا على المودة العميقة والحب الكبير الذى كان حمزة يحس بهما نحو ابن أخيه .. ولهذا

السبب كان حمزة نفسه يهرب من هذا الحب .. كى لايخرج عن دين آبائه الى دين محمد ..

الى ان كان ذات يوم .. لقى فيه النبى صلوات الله وسلامه عليه من أبو جهل الكثير .. فقد اعترضه وآذاه وشتمه ونال منه ما يكره وسبه فى دينه ونفسه ولم يكلمه رسول الله أو يرد عليه .. ولكن القوم من حولهما راوا وسمعوا .. وكان بين القوم خادم لعبد الله بن جدعان ، تاثرت لما حدث ووقفت تبحث عن حمزة .. ولكنها علمت أنه ذهب للصيد من أول النهار ولم يعد .. فظلت تنتظره بالقرب من الكعبة لانها تعلم عادة حمزة فى انه يطوف بالكعبة كلما عاد من الصيد قبل أن يذهب الى بيته .. وكانت هذه الخادمة التى دخل الى قلبها حب النبى تصر على ان ترى حمزة قبل ان يعود الى بيته .. وأن تطلعه على ما حدث لابن اخيه من اهانات وتثير فيه حبه لابن أخيه ، وبالتالى تستغل هذه الطاقة الثورية فى الدفاع عن دعوة الاسلام .. ورسالة النبى عليه الصلاة والسلام ..

وجاء حمزة ..

وطاف بالكعبة ..

وتلقته خادم عبد الله بن جدعان .. واوقفته الى جوار الكعبة وقالت له : « يا أبا عمارة ، لو رايت ما لقى ابن اخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام .. وجده هنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره .. وابن اخيك لا يرد عليه » .. واخذت تقول كل ما حدث تفصيلا .. وحمزة يرتفع الدم الى راسه مع كل كلمة يسمعها حتى يقطع الحديث .. ويمتشق قوسه ويعود مسرع الخطا بحثا عن ابى جهل .. فلقيه ببعض القرى فهوى بقوسه على راسه فانبثق منها الدم حتى خضب الأرض ولطخت ثوبه وثياب من حوله وصرخ فيه ..

« أتشتم محمدا وأنا على دينه أقول ما يقول ، ألا فرد على ذلك ان استطعت » .

.. ولم يرد أبو جهل .. ولم يتحرك واحد من القوم ، فقد أذهلتهم مفاجأة اسلام حمزة .. وخشوا بطشه وقوته .. ولكنهم بدأوا يستجلون الخبر .. خبر اسلام حمزة الذى لم يعرفون من قبل اذ قالوا : « ما نراك ياحمزة الا قد صبأت » .

فقال حمزة : ما يمنعنى وقد استبان لى منه ذلك .. انا أشهد أنه رسول الله وأن الذى يقوله الحق ، فوالله لا أنزع فامنعونى ان كنتم صادقين » .

فصمت الحاضرون ..

وانصرف حمزة يفكر فيما حدث كله .. انه لم يلق محمدا .. ولم يعلن اسلامه .. فكيف قال ما قال .. ولم يمكث فى داره الا قليلا ليعود متجولا يعاتب نفسه كيف أعلن اسلامه ولا يزال فى قلبه حنين الى دين أبائه .. ويحدثنا حمزة عن هذا الموقف كله فيقول : « ثم أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى .. وبت من الشك فى أمر عظيم لا أكتحل بنوم .. ثم أتيت الكعبة وتضرعت الى الله أن يشرح صدرى للحق ويذهب عنى الريب ، فاستجاب الله لى وملأ قلبى يقينا .. فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمرى فدعا الله أن يثبت قلبى على دينه .. » .

ومن يومها وحمزة يقف لقريش وكل الكافرين موقف المناضل المتحدى .. يدافع عن دينه ويذود عن المسلمين .. فاهتز لذلك خصوم النبى .. وحاولوا أن يثنوا حمزة وأن يعيدوه الى صفوفهم ، ولكنه كان قد وجد نفسه .. باسلامه .. ومارس ثورته فى اعلاء كلمة الله بقربه من رفيق عمره ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ودخل حمزة فى معارك استعمل فيها كل الأسلحة فى اعلان دين الله.. وضرب .. وضرب .. وجادل وناقش .. وكان فى كل المواقف ينتصر لدينه فان لم تصلح الكلمة استعمل اليد .. ولهذا اطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « حمزة أسد الله وأسد رسوله » .

وهاجر مع المهاجرين الى المدينة .

وفى اول سرية فى الاسلام وكانت الى سيف البحر من أرض جهينة ، كان قائدها حمزة سيف الله وسيف رسوله .

وأول راية عقدت لواحد من المسلمين عقدها رسول الله كانت لحمزة ..

ولم يشترك المسلمون فى قتال الا كان حمزة فى مقدمة الصفوف يقاتل فى شجاعة وايمان ودائما يذود عن رسول الله .. ينبعه بعينه وقلبه وهو فى وسط المعارك وبين دماء القتلى .. وصرعى ضرباته ..

وجاء يوم بدر ..

وظهر حمزة فى ساحة القتال .. ولأمر يريده الله اختار حمزة كبار القوم لقتالهم .. كان يدعوهم بالاسم ويصفهم بصفات تثير فيهم الحمية . فيخرجون من وراء الصفوف ليقاتلهم .. فيصرعهم ويروى الأرض بدمائهم ويصرخ بأن الله اراح المسلمين من فلان ويتبعه بآخر .. اما الذين لم يخرجوا له من المشركين فقد كان حمزة ينتقى منهم كبار رجال قريش وأعوانها ليقاتلهم ويقتلهم « وفعل بهم الأفاعيل » **وعادت قريش بعد انتهاء المعركة تجر أذيال الهزيمة وتفكر فى يوم العودة للأخذ بالثأر .. وكان فى رأس كل واحد من الزعماء .. شخص واحد يجب أن يقتل أولا ، وهو حمزة بن عبد المطلب** .. وبدأ كل واحد منهم يفكر فى طريقة للتخلص منه .. أيا كانت هذه الطريقة . وكان فى مقدمة هؤلاء

جميعا هند بنت عتبة أم معاوية وزوجة ابى سفيان .. فقد خلفت وراءها اباها وعمها واخاها وابنها قتلهم جميعا حمزة .. ولذا أقسمت أن لا تبكى واحدا منهم حتى تأخذ الثأر من حمزة .. وتمثل به .. وبدأ كل فريق يستعد للقاء .

ولم يكن يجول بخاطر حمزة وهو يستعد ليوم أحد أن هناك مؤامرة قد دبرت لقتله .. ولم يصل المسلمون أي خبر عن هذه والا لأحبطوها ..

وجاء يوم أحد ..

وكانت هند وأبو سفيان معها قد أعدا عبدا حبشيا لهما يقال له وحشى اشتهر بالرماية والسداد ، ووعدته هند بحريته وبقلائدها الذهبية وكل مصاغها ان قتل لها حمزة .. وحدد وحشى موقعه من المعركة .. بحيث لا تغيب عن عينه حمزة .. ولم يشترك فى المعركة ، وانما كان يبحث عن أسد الله وأسد رسوله ليقتله .. وهذا هو عمله الوحيد .

والتقى الجمعان ..

وقامت فى تاريخ الاسلام أحد معاركه العنيفة ..

وتوسط حمزة ساحة القتال مزهوا .. يقاتل بسيفين .. لا يقابله واحد الا قتله .. حتى بلغ عدد قتلاه يومها واحد وثلاثين قتيلا من خصوم الاسلام الألداء .

وأوشكت المعركة على الانتهاء .. وبان النصر واضحا للمسلمين .. فابتدأ ميزان القوى يختل .. ومرت فترة مريبة .. انتهت بانكشاف عسكر المسلمين .. وجحافل من قريش تهاجم المسلمين .. وهنا .. ومرة أخرى .. يظهر حمزة .. كأنه يقاتل الموت نفسه .. وعين وحشى وغيره ترقبه تنتظر لحظة تجهز عليه .. حتى حانت الفرصة ..

ويصف وحشى هذا الموقف فيقول : « فلما التقى الناس خرجت انظر حمزة واتبصره حتى رايته فى عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدا ، ما يقف أمامه شيء .. فو الله انى لأتهيأ له واستتر منه بشجرة او حجر ليدنو منى اذ تقدمنى اليه سباع بن العزى فلما رآه حمزة صاح به هلم الى يا ابن مقطعة البظور ، ثم ضربه ضربة ، فما اخطأ راسه وعندئذ هززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها نحوه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه ونهض نحوى فغلب على امره ثم واتبته فأخذت حربتى ثم رجعت الى المعسكر فقعدت فيه اذ لم يكن لى فى غيره حاجة فقد قتلته لأعتق .. » .

وكانت هند تنتظر هذه اللحظة ومن حولها كبار المشركين ، وما كادت ترى وحشيا ويخبرها بما فعل مؤكدا لها ما سمعت به من قبل وصوله حتى فرحت فرحا كبيرا .. وامرت وحشيا أن يعود فيأتيها بكبد حمزة ينبض بالحرارة قبل أن يبرد .. **واطاعها وحشى وحقق لها رغبتها وعاد اليها بكبد حمزة والدم ينزف منها .. فاخذتها تريد ان تأكلها .. ووضعتها فى فمها فاستعصت عليها فامرت جواريها وصاحباتها بالغناء .. وقطعن كبد حمزة .. وعملن منه « حلقان » ..**

وانتهت موقعة احـد ..

واستشهد سيف الله .. وثائر من الثوار الأول الذين رفعوا لواء رايه لا اله الا الله .. محمد رسول الله .. ودافع عن الاسلام والمسلمين حتى قتل ..

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه ينظرون الشهداء .. فياخذوهم ليواروهم التراب .

ووقعت عينا الرسول وصحبه على جثمان حمزة وقد فعلت به الأفاعيل .. وامتلأت عينا الرسول بالدمع وقال كمن يناجى

عمه « لن اصاب بمثلك ابدا وما وقفت موقفا قط اغيظ الى من موقفى هذا ».

ونظر الى اصحابه وهم يواسونه بقلوبهم وعيونهم وقال « لولا ان تحزن صفية ويكون سنه من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطيور ولئن اظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم » .

واذا بالصحابة يتجاوبون مع الرسول العظيم فى حزنه والمه لما رأى .. ويقسمون « والله لئن اظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها احد من العرب » .

ولكن الله سبحانه وتعالى ينزل قرآنا على رسول الله يحدد له طرق التعامل مع الناس اعداء واصدقاء .. وقبل ان ينتهى صحابة الرسول من الحديث معه مجاملين معزين .. بقوله تعالى **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين . وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »** .

ويقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابته كلام الله .. ويمسك الجميع دموعهم .. ويحملون بقايا جثمان حمزة الى حيث يصلى عليه رسول الله مع كل شهيد من المسلمين حتى صلى عليه سبعين مرة ..

وانتهت الصلاة ..

لينظر رسول الله الى عمه فى حب وحزن .. ويقول قبل ان يوارى جثمانه « رحمة الله عليك فانك كنت ما علمت وصولا للرحم فعولا للخيرات » .

عبد الله
ابن مسعود

لم يحب واحد من المسلـ
الأول القرآن الكريم كما احبـ
عبد الله بن مسعود وتحول
شيء فيه صورة قرآنية عا
حتى قال النبي صلى الله عليـ
وسلم « من احب ان يقرأ القر
غضا كما انزل فليقراه على قر
ابن ام عبد » .

وكان عبد الله بن مسعود أول رجل يجهر بالقرآن الكريم فى مكة بعد رسول الله فيقول الزبير « كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه » .

اذ اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقا والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ــ فمن ر يسمعوه ؟ فقال عبد الله ابن مسعود . أنا فقالوا انا نخشـــا عليك . انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان أرادوه .

قال : دعونى فان الله سيمنعنى فغدا ابن مسعود حتى المَ فى الضحى وقريش فى انديتها فقام عند المقام ثم قرأ بسم الله الرحـ الرحيم رافعا بها صوته . الرحمن . علم القرآن ثم اســتقبلـ يقرؤها فتأملوه قائلين ماذا يقول ابن أم عبد ؟ .. انه يتلو بعـ ما جاء به محمد . فقاموا اليه وجعلوا يضربون وجهه وهو ماـ فى قراءته حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ .

ثم عاد الى أصحابه مصابا فى وجهه وجسده فقالوا له . هذا الذى خشيناه عليك . فقال . ما كان أعـــداء الله اهون على منهم الآن ولئن شئتم لاعادينهم بمثلها غدا .

.. قالوا له : حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون . وقصـــة اســلام عبد الله بن مسعود وحيـــاته صورة رائعة للمسلمين الأول الذين صدقوا حب الله ورسوله ورفعوا لواء الحق فصاروا علما ومنارا عبر الأيام .. وعلى مر التاريخ ..

وقد جاء ابن مسعود الى مكة من هزيل بعد وفاة أبيه يبحث عن العمل والرزق فانتهى به الأمر راعيا لغنم عقبة بن ابى معيط برغم معارضة اخوانه بنى زهرة الذين رأوا فيه شيئا مجهـولا فظنوا انه ســيكون له مع الأيام شـــأن كما يقول بعض الرواة .. فيسروا له سبل الحياة .. وأغدقوا عليه النعم ولكنه يرفض هـذا كله .. لانه يحب أن يعيش من كده وعمله .. ولانه لا يحب الكسل ولا يحب البذخ ولا من يعيش هذه الحياة كما يعبر عن ذلك فيمـا بعد من عمره .

ويعيش راعى الغنم مع الطبيعة باحثا عن الحق والحقيقة .. وكأن الله سبحانه وتعالى قد اختار له هذه المهنة .. لأن فيها قدرة .. ومستقبله .. ومصيره اذ يقول عبد الله بن مسعود انه كان ذات يوم يرعى غنما فاذا برجلين يقابلانه ويتأملانه فى صمت .. وينظر اليهما فى رهبة وانبهار .. واذا بأحد الرجلين يسأله « ياغلام هل عندك من لبن تسقينا فانا ظمآء . فقـال : انى مؤتمن ولن أسقيكما ولو كانت هذه الغنيمات لى لما بخلت عليكما بما ينقع الغلة فينظر أحد الرجلين الى صاحبه ثم يعود فيقول : فهل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل . قال . أما هذا فنعم وأتى بشاة فعقلها الرجل ذو النظر المطمئن ثم يمسح على ضرعهـا ويدعو بكلام فاذا الضرع قد حفل . واذا بصاحبه يأتيه بصخرة مقعرة فاحتلب فيها فشربا ثم شربت ثم قال للضرع أقلص فقلص ..

وعرف ابن مسعود فى الرجلين محمد بن عبد الله وأبا بكر صاحبه وينصرف رسول الله وصاحبه ليبقى عبد الله فى ذهول ان حلاوة اللبن الذى ذاقه تتضاءل أمام حلاوة الكلام الذى سمعه وحينما يفيق من ذهوله يبحث عن النبى وأبى بكر فلا يجدهما فيضيق بنفسه .. اذ كيف تركهما ينصرفان من غير أن يعرف وجهتيهما ولا كيف يلقاهما .. فيعود الى مكة مسرعا ويسلم أغنامه ويبحث عن عقبة بن أبى معيط حتى يراه بين أبنائه وكثير من أقاربه فيعلنه فى اصرار ووضوح « يا ابن الوليد اغد مع غنيماتك غير من رفيقك واحلافك فانى عن رعيها راغب منذ اليوم » . ويتركه وينصرف باحثا عن النبى صلى الله عليه وسلم حتى يجده بعد يومين طويلين .. فيتعلق به .. ويسأله ان يعلمه من الكلام الذى سمعه منه .. **فيخبره عليه السلام بدعوته فيدخل فيها ويسلم ..** ويقول له الرسول من اللحظة الأولى « انك غلام معلم » ويصبح سادس المسلمين .

ومن يومها وعبد الله لا يفارق النبى حتى ظن كل من رآه انه واحد من أهل بيت النبوة .. ولا يقف دوره عند حد مصاحبة النبى وتعلم الدين منه .. بل انه ليعلن كلمات الله وآياته فى مجامع القوم فتارة يلحقونه .. وتارة أخرى يذهب بعيدا عنهم مسرعا قبل أن يلقى من ايذائهم شيئا ..

كان ابن مسعود يقرأ القرآن بصوته العذب فيجذب اليه كثيرا من العامة .. وبعض الخاصة من سكان قريش .. فيلقى فى قلوبهم المظلمة .. بصيصا من نور الحق واستمر على هذا حتى ضاق به أبو جهل زعيم الكفار وأراد أن يلحق به الأذى وينهى به حياة واحد من الدعاة الى دين الله . وبتلاوة القرآن .. ولكن القوم حالوا بينه وبين رغبته خشية بطش أقارب عبد الله بن مسعود الذين لن يرضوا باذلال ولا قتل ابن لهم .

ولكن أبا جهل لم يقنع وبدأ يتحين الفرص ليكيد لابن مسعود .. وجاءته الفرصة .. اذ راى على بعد من الكعبة جمعا من الناس فذهب يتعرف الأمر واذا الجمع من حول بن مسعود يستمعون اليه يتلو قوله تعالى « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما . انها ساءت مستقرا ومقاما . والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا .. والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما » . فيصرخ أبو جهل فى القوم فيهربون ويبقى هو وجها لوجه مع عبد الله بن مسعود فيضربه بالقوس على راسه فينبثق منه الدم غزيرا .. ولكن عبد الله لا يهرب .. ولا يضعف .. وانما يصفع أبو جهل على وجهه فى عنف وقوة . ثم يقذفه فى صدره .. حتى يصيح « لن تفلت بها يا راعى الغنم .. » فيقول له ابن مسعود « ولن تفلت بما فعلت يا عدو الله » .. ويذهب أبو جهل الى قومه يحدثهم بما أصابه ..

ويهدر دم ابن مسعود ويعرف رسول الله بالأمر فيأمر عبد الله بالهجرة الى الحبشة مع المهاجرين ويعود من هناك الى المدينة حيث يعيش مع النبى لا يفارقه .. ويأخذ عنه .. ويتعلم منه وليقول رضى الله عنه « **والله ما نزل القرآن شىء الا انا أعلم فى اى شىء نزل وما أحد أعلم بكتاب الله منى** ولو أعلم أحدا تمتطى اليه الابل أعلم منى بكتاب الله لاتيته .. وما أنا بخيركم » .

و .. « أخذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة لاينازعنى فيها أحد » .

ويحضر المواقع كلها مع رســول الله .. وفى غزوة بدر كان ابو جهل فى جانب المشركين وكانت فرصة تصفية الحساب بينه وبين ابن مسعود ..

وأذن الله وصرع ابو جهل .. وعلى يد عبد الله ابن مسعود ونفر من المسلمين .. وقبل ان يلفظ ابو جهل انفاسه قال له ابن مسعود « ها قد أخزاك الله يا عدو الله » .

فقال « ها انت ذا يا راعى الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا » . فيرد عليه ابن مسعود « لقد اخزاك الله بما قدمت للمسلمين من شر فذق عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اشد باسا واعظم تنكيلا » .

ويضربه الضربة الأخيرة .. ويرفع صوته بتكبيرة الله ..

وينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عن ابن مسعود .. وكلمات كثيرة مضيئة قالها عليه السلام عن هــذا الصحابى العظيم .. ومنها :

« تمسكوا بعهد ابن ام عبد » .

و .. « من احب ان يسمع القرآن غضا كما انزل فليسمعه من ابن ام عبد » .

و .. « لو كنت مؤمرا احدا دون شــورى المسلمين لأمرت ابن ام عبد » .

و .. يقف ابن مسعود مع المؤمنين الأول يذودون عن دين الله فى حروب الردة .. وحروب الدعوة .. من بعدها .. وفى العهد الأول من ايام عمر كان مع المرابطين فى حمص ينتظر تعليمات امير المؤمنين عمر ابن الخطاب فى الزحف والجهاد ــ ولكن امرا ياتيــه بالعودة الى المدينة من الخليفة الثانى ليوليه بيت مال الكوفة وتعليم آهلها شئون دينهم فى وقت كانت الدعوة الاسلامية فى حاجة الى تثبيت قلوب أهل الكوفة بالذات على الاسلام حتى ينطلقوا فى مغارب

الأرض ومشارقها دعاة اليه ... وقال عمر فى خطابه لأهل الكوفة عن تعيين ابن مسعود على بيت المال ومعلمـــا لهم : « انى والله الذى لا اله الا هو قد آثرتكم به على نفسى فخذوا منه وتعلموا .. » .

وقام عبد الله بن مسعود فى الكوفة مده خلافة عمر وفترة من أيام عثمان .. يعلم الناس شئون دينهم .. ويعلم الحكام كيفية التصرف فى مال المسلمين .. والحفاظ عليه .. وكان يعلم قراءة القرآن ويقرؤه طوال أيام الأسبوع .. وعشية واحدة كان يتخذها للموعظة .. هى عشية الخميس .. حتى حفظ عنه المســلمين الكثير .. وحفظ لنا التاريخ بعضها ومنها ..

« انى لأمقت الرجل اذا أراه فارغا ليس فى شىء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة » .

و .. « خير الغنى غنى النفس .. وخير الزاد التقوى وشر العمى عمى القلب . وأعظم الخطايا الكذب . وشر المكاسب الربا . وشر المآكل مال اليتيم ومن يعف عف الله عنه ومن يغفر غفــــر الله له » .

و .. يعلمهم سيرة الصحب الأول لرسول الله .. وتعاليم رسول الله فى خشوع رهيب يهتز له كل جسده .. وتنساب دموعه ذكرى لنبى الرحمة صلى الله عليه وسلم .

وفى أول عهد عثمان .. ولى على الكوفة الوليد بن عقبة مع بقاء ابن مسعود على بيت المال وتعليم الناس شئون دينهم .. وبدأ بين الاثنين خلاف على أساليب الحكم .. وطبيعة مال المسلمين وكيفية انفاقه .

كان عبد الله بن مسعود يرى أن المال ليس للأمراء ولا لمظاهرهم التى يحاول الأمويون ابرازها فى المجتمع الاسلامى .. وانما لعامة المسلمين ومصالح الجماعة الاسلامية وبدأ ابن مسعود يعبر عن هذا

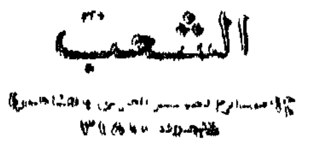
الرأى الاسلامى فى حديثه عشية كل خميس مع جماهير المسلمين وكان يرفع دائما مقدمة ثابتة لاحاديثه « ان أصدق القول كتاب الله . وأحسن الهدى هدى محمد . وشر الأمور محدثاتها . وكل محدثة بدعة .. وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

وينتهى الخلاف بعودة بن مسعود الى المدينة المنورة . لتقع يوما بينه وبين عثمان مشادة عنيفة تنتهى برد بن مسعود عليه « لست كما تقول ولكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويوم احد ويوم الخندق ويوم بيعة الرضوان » .. فتنادى عائشة أم المؤمنين من وراء الستر فى المسجد قائلة « ويحك يا عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ويخرج بن مسعود من مسجد رسول الله غاضبا ليقضى فى بيته عامين لا يبرحه يعانى من آلام وأمراض .. حتى ينتقل فى عام ٣٢ هـ الى عالم الخلود وقد بلغ من العمر عامه الثانى والستين ليلقى الأحبة محمدا وصحبه مشيعا من المسلمين فى مدينة الرسول وفى مقدمهم صحابته صلى الله عليه وسلم الذين اشتركوا فى الصلاة عليه .

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٥/٢٣١٠





رئيس قطاع النشر
سعاد قنديل

□ الغلاف للفنان : محمد صلاح الدين
□ الاعداد الفنى : أنور عبد الدايم

الثمن ١٢٥ قرشا

١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م